الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة وهران(2).

كلية العلوم الاجتماعية.

تخصص فلسفة عامة.

أطروحة تخرج لنيل شهادة ماستر فلسفة موسومة ب:

الدولة في الفكر المسيحي

- أوغسطين أنموذجا -

إعداد: ستاوي أسماء.

إشراف: أ.د. بوعرفة عبد القادر.

أعضاء لجنة المناقشة

تاريخ المناقشة: 2022/06/07.

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
الزاوي عمر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران2
بوعرفة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران2
الزاير أبو الدهاج	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران2

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر وتقدير

الحمد لله الذي منَّ علي بفضله وكرمه على إتمام عملي المتواضع.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ البروفيسور "**بوعرفة عبد القادر**" على قبوله الإشراف على موضوع أطروحتي، وعلى التوجيهات والإرشادات التي قدمها لي،فله مني كل الإمتنان والعرفان الذي لن تفي كلماتي بإيفائه حقه.

وأشكر لجنة المناقشة الذين سيتكرمون بمناقشة عملي المتواضع وقراءته وتقديم التوجيهات البنَّاءة لي.

كما أتوجه بأرقى معاني التقدير والعرفان إلى السيد رئيس قسم الفلسفة الأستاذ" **كبير محمد**"، وأشكر كل أساتذة قسم الفلسفة الذين زرعوا فينا حب الفلسفة وحب البحث عن المعرفة، فكانوا نعم الموجهين الهادفين إلى بناء جيل يحمل رسالة الفلسفة ويخرجها من النظرة السوداوية التي يتهمها بها من يعادون الفكر والمعرفة.

وأشكر كذلك إدارة قسم الفلسفة، وأخص بالذكر السيدة "**سليمة**"، ولا أنسى موظفي مكتبة الفلسفة السيد"**سفيان**"، السيدة"**عمارية**"،والسيدة "**نصيرة**".

إهداء

لطالما حلمت باليوم الذي أتخرج فيه من الجامعة،بعد تعب سنوات كانت هي الماضي الذي يبني لي الحاضر والمستقبل،وما كان حلما هاهو ذا يتحقق،وبهذه المناسبة الرائعة التي ستبقى محفورة في أعماق روحي أهدي عملي المتواضع إلى والدي"عبد الرحيم"،ولأمي"سلاطنة نادية"،اللذان حببا لي العلم ،حفظهما الله وأدام عليهما الصحة والعافية.

وإلى أخي "أسامة"،وأختي الكبرى"شيماء"،وأختي الصغرى"آية".أرجو لهم حياة حافلة بالنجاح والسعادة.

وإلى صاحبة الصدر الرحب واللمسات التي تكون بلسما لجروح الروح والقلوب"جدتي فافة" حفظها الله وأطال عمرها.وإلى خالاتي كل بإسمها،وإلى خال"أبو بكر".وأبناء وبنات خالاتي وخالي.وإلى أعمامي وعماتي.

ولا أنسى صديقتي التي شقَّت معي طريق العلم المعرفة.

مقدمة

يندرج موضوع الأطروحة الموسومة ب"الدولة في الفكر المسيحي-أوغسطين أنموذجا-" ضمن الفلسفة السياسية، وانحصرت دراستنا في تاريخ الأوروبي المسيحي، كون الغرب كانوا السباقين للتأسيس لفكرة "الدولة". وبما أن الحضارات القديمة لم تعرف فكرة "الدولة" فإننا عالجنا الفترة الممتدة من بداية الإمبراطورية الرومانية حوالي27ق. م مرورا بفترة ظهور المسيحية إلى غاية انهيار الإمبراطورية الرومانية عام 476م بالتحديد، نتيجة هجوم القوط بقيادة "ألاريك"، وينبغي الإشارة إلى أن الإمبراطورية الرومانية إنهارت بشكل كامل بإنهيار القسطنطينية عام674م نتيجة الفتح الإسلامي، وانحصرت ب"روما" في "إيطاليا" تحديدا. وبتفكك الإمبراطورية الرومانية بدأت الدول بالتشكل خاصة الدول العظمى"فرنسا"و"بريطانيا". وبالرغم من أن المسيحية ظهرت في"القدس"إذ تروي الأحداث أن سيدنا عيسى عليه السلام ولد في"فلسطين" لذلك نجد أن اليهود يعتبرونها الأرض الموعودة، كذلك المسيحيين فها هو ذا "أوغسطين" يتحدث عن ملكوت الرب والمدينة الإلهية"أورشليم" ويقصد بها "القدس"عند المسلمين. إلا أن الإمبراطورية الرومانية قد أحكمت سيطرتها على مشارق العالم ومغاربه.

إن الدولة تعتبر من أبرز المفاهيم والمسائل التي أخذت حيِّزا وفيرا من الدراسات والبحوث في جل المجالات، من دراسات سياسية، اجتماعية، فلسفية، قانونية، واقتصادية، كون الدولة أساس تنظيم الاجتماع البشري، وفي حال غيابها تنعدم العلاقات الاجتماعية وتسود الفوضى، فالفرد تربطه بالدولة علاقة وطيدة، علاقة وظيفية تكاملية. إذ يقدم الفرد الطاعة وكل قيم المواطنة، وتقابله الدولة بحماية ممتلكاته والسهر على رعاية أمنه وسلامه.

إن الحضارات الشرقية القديمة عمَّرت لقرون خاصة الفرعونية والصينية والبابلية لكنها لم تعرف فكرة "الدولة"، فقد شكلت هذه الحضارات تجمعات بشرية تسمى"المدينة". يحكمها ملك له قداسة إلهية وقد تمت عبادة الكثير من الفراعنة والملوك آنذاك. ومع الحضارة اليونانية التي بلغت أوجها مع الفلاسفة الذين ربطوا بين السياسة والأخلاق، ونظموا القوانين وتشكلت عندهم ما تسمى ب "دولة المدينة"، ونجد الرواقيون قد سعوا على تأسيس"دولة عالمية" تجمع أجناس البشر تحت تنظيم سياسي واحد قائم على القيم الإيتيقية وخاصة على العدالة لكنها لم تكن بمعنى الدولة الذي هي عليه الآن أو حتى ما كانت عليه في الفترة الحديثة. أما بالنسبة لتاريخ

الحضارة الإمبراطورية المجيدة، ففي بداية تشكلها كانت مدينة صغيرة أسسها"رومولوس" وصار ملكا لها، وبالقوة الحربية وحب التوسع الذي عرفت به دون نظيرتها اليونانية التي أغرمت بالفلسفة والحكمة والمعرفة. قد بسطت أراضيها على المدن التي تجاورها مكونة بذلك مدن عدة خضعت لحاكم واحد، إلا أن توسعاتها جعلت من الصعب أن يتحكم ملك واحد في مراقبة شؤون هذه المدن التي اشمل ثقافات وأجناس مختلفة. فصار الحكم إمبراطوريا، وتم تعيين حاكم على كل مدينة. إذا الرومان لم يعرفوا فكرة"الدولة"لا هم ولا من سبقهم. إلا أننا نلمح بذور نشأة فكرة "الدولة" مع بداية ظهور المسيحية، وبالتالي وما لدينا من أنموذج "القديس أوغسطين" فإننا نجده يذكر"الدولة" في مؤلفه الشهير"مدينة الإله". ويعطيها أسسا لا تتجاوز الأسس الدينية والأخلاقية. لكن مع عصر التنوير والنهضة رست فكرة الدولة على ركائز أساسية لا علاقة لها باللاهوت. إذ إتخذت من"الشعب، السلطة، الرقعة الجغرافية، ورمز السيادة" مقوما لها، وخاصة بإعتمادها على القانون الوضعي المدني بدل القانون الطبيعي الذي طغى سابقا.

لقد أعطى "أوغسطين" السلطة الكنسية سلطة روحية منفصلة على السلطة السياسية، وجعل الكنيسة أعلى مرتبة من السلطة الزمنية، وقد جعل للدولة قداسة دينية للحفاظ على الحضارة وتحقيق الخلاص، فنجده يمزج في فكره السياسي بين الفكر الفلسفي اليوناني الأفلاطوني والأرسطي والرواقية على وجه خاص، والمسيحية إذ نجده ينهل من الكتاب المقدس مبدعا صورة دفاعية متكاملة الجوانب من لاهوت، سياسة، تاريخ، وقيم. وجعل من المسيحية دينا متكاملا قد يحقق سعادة الدنيا الظرفية وسعادة الآخرة الأبدية. وقد جسَّد في هذا صورتين متصارعتين مختلفتي النشأة والمسار والمصير "مدينة الإله" التي نشأة عن إرادة خيِّرة، وتسير في طريق الرب والإيمان، ومصيرها الخلود في النعيم والسعادة الأبدية. في حين"مدينة الشيطان" هي التي نتجت عن إرادة الشر وتسير وفق شهواتها وأطماعها الدنيوية تتبع خطى الشياطين، فيكون مصيرها الخلود في العذاب الأبدي والجحيم.

الدولة عند "أوغسطين" هي أساس التجمع البشري فهي ضرورية، لكنها تظل نتيجة الخطيئة التي إقترفها آدم عليه السلام. وهي بذلك عقاب إلهي، لكن العناية الإلهية لم تترك العالم بجون رعاية ودون أن تحيطه بالمحبة. وبذلك فإنها خاضعة للقانون الطبيعي الإلهي، والدولة لها بعد

روحي إذ جعلها مرتبطة بنهاية التاريخ الذي تنتصر فيه "مدينة الرب". وأن الكنيسة لا ترضخ للقانون الوضعي بل إما أن تخضع السلطة الزمنية للكنيسة فتقودها للسعادة الحقيقية. وإما لا تتدخل في شؤونها. لأن سلطة الكنيسة مستمدة من سلطة الرب. فلا سلطة فوق سلطة الرب. وقد كان لفكرته هذه الأثر الكبير فيما عاشته أوروبا في مرحلة لاحقة خاصة مع "العصور الوسطى" حيث قامت السلطة الكنسية باستغلال هذه الدفاعات والكتاب المقدس لصالحها فحادت عن الطريق الروحي الذي كانت تتبعه في بدايتها. وكان ما عاشته أوروبا من ضلال وصمة عار للكنيسة التي مارست كل الوسائل لجعل العقل البشري خاضعا لها وهذا ما برز في صكوك الغفران ومحاكم التفتيش . وخاصة مع النظريات العلمية التي كانت تزلزل مكانة التعاليم الكنسية

وكان لها الفضل في زوال عصر الظلمات وحلول عصر التنوير والنهضة الذي حمل معه شعار فصل الدين عن الدولة، والفصل بين الكنيسة عن السياسة. وإستبدال القانون الطبيعي بالقانون الوضعي المدني.

الإشكالية:

الرؤية الأوغسطينية للدولة خصّتها بطابع روحي قائم على الإيمان والقيم الإيتيقية، وربطت بينها وبين الخطيئة البشرية فكانت بذلك ناتجة عنها، وحدد مسار الدولة الذي يبدأ بصراعات بين المدينتين لينتهي بالنهاية المحتومة "نهاية التاريخ"، والاختلاف يكمن في جوهر الدولة فإن إتبعت إرادة الخير وخضعت للكنيسة فإنها تحقق الازدهار وتبلغ السعادة الأبدية. وإن عارضت الكنيسة وسلكت طريق الشيطان فإنها تمهد لزوالها وخلودها في الجحيم الأبدي. ورغم ذلك فإن الدولة تخضع للقانون الطبيعي ولا قدرة لا بتجاوز القانون الإلهي، فالعناية الإلهية تراقب الدولة لتحقق وعد الرب بمدينة الرب الخالدة. وتقودنا هذه الإشكالية إلى طرح التساؤلات التي تتجلى في: كيف نظّر أوغسطين لمفهوم للدولة؟ وهل تحمل الدولة طابعا روحيا مقدسا تمثله الكنيسة كسلطة تستمد تعاليمها من الرب؟ وما الغاية التي تسعى لها الدولة الحقيقية؟ وهل الطرح الذي جاء به أوغسطين في مدينة الإله سعى به إلى بناء روما من جديد؟ أم سعى به إلى جعل الكنيسة محور مدينة الرب؟

ونضع للإجابة عن هذه الإشكالية والتساؤلات فرضيتين أساسيتين:

أ/ الدولة تقوم على أسس الإيمان والقيم الإيتيقية من محبة وعدالة لتبلغ السعادة الأبدية.

ب/ الدولة الحقيقية هي التي تقترن بالسلطة الروحية، ولا تعلو عليها. فتخضع للقانون الطبيع الإلهي.

هيكلة البحث: وللإجابة عن الإشكالية تم تقسيم هذا البحث إلى:

مقدمة : والتي أبرزنا فيها كُنه الموضوع والإشكالية المراد معالجتها في موضوع دراستنا. والفرضيات التي أقمنا عليها الدراسة. إضافة إلى هيكلة البحث التي تبرز الخطة التي اتبعناها، والمناهج التي اعتمدناها، ومجموعة الدراسات السابقة التي إستقينا منها بعض المعارف، مع ذكر المصادر التي اعتمدنا عليها، والأسباب التي دفعتنا لإختيار الموضوع، والأهداف المرجو بلوغها من هذه الدراسة.

الفصل الأول : حمل عنوانه **الدولة: المفهوم والتداعيات**، وقسمناه إلى مبحثين، **فالمبحث الأول**، والذي يحمل عنوان"**مفهوم الدولة**"، عالجنا فيه تعاريف لمفهوم أو فكرة الدولة، فاتخذنا في التعريف الإيثمولوجي مجموعة من المعاجم، فالعربية والتي تمثلت في"لسان العرب لابن منظور"، ومعاجم فرنسية وإنجليزية التي توضح المفهوم الاشتقاقي للدولة ÈTAT، والذي اجتمعت الآراء في إلى جعل الدولة تعني التغير من حال، وهذا هو حال الدولة فهي تنتقل بشكل دري ودائم من ازدهار إلى ضعف وانهيار كذلك تعاريف اصطلاحية للدولة والتي تنوعت حسب المجالات المهتمة بفطرة الدولة من تعاريف قانونية، وسياسية، واقتصادية. وأخذنا كنموذج(إبن خلدون، كارل ماركس، ماكس فيبر) والذي اجتمعت آراءهم في اعتبار الدولة مجموعة بشرية يخضعون لسلطة سياسية نرعى شؤون مواطنيها وتنظيمه. ومجموعة من التعاريف الفلسفية والتي اعتمدنا فيها على موسوعات فلسفية ومؤلفات لفلاسفة نظَّروا للدولة، وكنموذج أخذنا(أفلاطون،

أرسطو، الفارابي، توما الإكويني، توماس هوبز، جون لوك، فريدريك هيغل). فاجتمعت آراءهم في جعل الدولة هيئة سياسية تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وأقمنا مفارقة بين هذه التعاريف وبين (أوغسطين) والذي كان تعريفه للدولة يختلف من حيث الجوهر، إلا أن

الغاية المنشودة فقد كانت متماثلة عندهم وهي بلوغ السعادة، مع خلاصة للمبحث. أما **المبحث الثاني** فقد عنوناه ب"**جدل الدولة في الفكر الوسيط ق2. 3م**"، وعالجنا فيه إشكالية السلطة والسياسة عند الرومان والمعتقد الوثني الذي لعب دور أساسي في تاريخ الرومان. مع التطرق لأنظمة الحكم التي عاشتها الحضارة الرومانية مشيرين إلى(بوليبيوس، شيشرون، سينيكا) كنموذج منظري السياسة الرومان الوثنيين. مع التطرق إلى الفكر السياسي المسيحي الوسيط، حيث كان للمسيحية دورا كبيرا في تغيير نظام الرومان لدرجة إعتباره دينا رسميا للإمبراطورية مع بداية حكم "قسطنطين". واتخذنا كنموذج (القديس أمبروز، أوغسطين، جريجوري). مع خلاصة للمبحث .

الفصل الثاني: والذي يحمل عنوان"**الدولة عند أوغسطين**" وقسمناه إلى مبحثين، إذ يحمل **المبحث الأول** عنوان "**دراسة تحليلية لمدينة الإله عند القديس أوغسطين**"وتمَّ التطرق فيه إلى القديس أوغسطين ومحطات حياته التي تبرز انقلابه من حياة الشهوات إلى حياة العفة والزهد، ومرجعيته الفكرية التي استقاها من المذاهب التي تأثر بها في شبابه من مذهب أفلاطون والمانوية. واللَّتان كانتا بارزتان بوضوح في مؤلفاته خاصة مدينة الإله". وبحثنا في الدوافع التي أنتجت لنا هذا الفكر الزاخر الإبداعي "مدينة الإله". إضافة لفكره السياسي الذي أخذ طابع لاهوتي وعالجنا فيه تقسيمه للمدينتين "مدينة الرب" و"مدينة الشيطان" وذكر الغاية المرجوة من "مدينة الإله"، إضافة إلى نظام الحكم الذي تقوم عليه "مدينة الإله"، إضافة إلى تنظيمه للدولة والقانون الذي تقوم عليه. إذ كان للقانون الطبيعي سلطة على القانون الوضعي. أما المبحث الثاني الذي

تم تقسيمه لجزئين، الأول" **نقد نظرية الدولة عند أوغسطين**" وعالجنا فيها مجموعة الانتقادات التي ناقشت المجال المعرفي لأوغسطين خاصة مؤلفه"مدينة الإله". وتم عرض التجاوز إذ تطرقنا فيه إلى نظرية "العقد الاجتماعي التي دعت لتجاوز فكرة الدولة الدينية. أما الجزء الثاني بعنوان" **الثيوقراطية المسيحية ما بعد أوغسطين للمدينة**" والذي عالجنا فيه مفهوم الثيوقراطية وجذورها. كذلك تطرقنا لكرونولوجيا تاريخ الكنيسة، تاريخها الذي بدأ من ديانة تبشيرية إلى تعاليم الرب ومبادئ المحبة والتسامح والسلام إلى سلطة فاقت سلطة الحكام فاستبدت وانحرفت

عن المسار الموكل لها. ومارست الجهل كسياسة لجعل سلطتها فوق سلطة العقل، لكن مع النظريات العلمية خاصة (كوبرنيكوس، غاليلو غاليلي، نيوتن) كنماذج، وتطرقنا إلى النتائج التي أفضت إلى ظهور حركة الديني بزعامة "مارتن لوثر". ومحاكم التفتيش، التي أفضت إلى التصدي للكنيسة وظهور عصر التنوير الأوروبي والنهضة. وانتشار العلمانية التي دعت للفصل بين الكنسية والدولة. مبدعين مجتمعا يدعو للتسامح، المحبة، العدالة. ويقوم على سلطة العقل في المعرفة، وعلى القانون الوضعي المدني في سياسته وقوانينه.

المناهج المعتمدة : اعتمدنا في دراستنا إلى مناهج عدة، والتي تتمثل في:

المنهج الجينيالوجي: قد استعملناه في الفصل الأول بشكل أساس لشرح المفاهيم كالدولة، بأبعادها الإيثمولوجية، الاصطلاحية، الفلسفية، وكذلك مفهوم السلطة، وفي الفصل الثاني بشكل بسيط في شرحنا لمفهوم الثيوقراطية.

المنهج التحليلي: وقد استخدمناه في عرضنا لفكر أوغسطين السياسي، ومفهومه للدولة وأسسها وفي عرضه للمدينتين الأرضية والسماوية، وفي بنية كل منها، فقنا بتحليل وتركيب أفكاره وأقواله.

المنهج المقارن: إذ كان من الواجب القيام بمقارنة بين المدينتين، من حيث نشأتهما، ومسارهما، ومآلهما، والغاية التي تشابه في الظاهر وتختلف في الجوهر(السعادة)، كذلك استعملنا المقارنة في تاريخ الكنيسة، أي القيام بموازن ومقارنة بين ما كانت عليه وما آل إليه حال رجالاتها. وتخلله المنهج الكرونولوجي، والذي استعملناه في تاريخ الكنيسة وفكرة الثيوقراطية.

أسباب اختيار الموضوع : تمثلت مجموعة الأسباب التي دفعتني لدراسة هذا الموضوع في :

أ/ أسباب ذاتية: وتمثلت في ميلي إلى السياسة وكل ما يتعلق بالتاريخ والسياسة، خاصة الفكر السياسي المسيحي، لوجود الكثير من الترويجات بأنه دين المحبة وكذلك من حيث أننا نعيش في عالم أثبتت الإحصائيات بأن نسبة المسيحية في العالم تفوق نسبة الإسلام. فلا ينبغي علينا التقوقع داخل موروثنا الحضاري والديني. إضافة إلى أن شخصية" القديس أوغسطين" قد أثارت رغبتي في البحث فيه، وخاصة كونه من أصول جزائرية أمازيغية، كما أنه سبق لي الاطلاع

على مؤلفه الرائع "الاعترافات" والذي كان يزخر بنزعة صوفية بناها بإبداع فذّ. وأثارت فكرة العلاقة بين الدولة وقديس ينبذ كل ما هو عرضي من عالم أرضي. وبالبحث أدركت مقصده.

ب/ أسباب موضوعية: وتمثلت في الطابع اللاهوتي والسياسي الذي مزجه أوغسطين ببراعة قديس جزائري ذو حنكة وبراعة كلامية وفكرية، في أعماله التي كانت تحمل هدف دفاعي عن العقيدة المسيحية، خاصة "مدينة الإله" فتجده يسعى لأن يؤسس لدولة الرب الموعودة. وكأنه كان ينتظر هجوم الوثنيين على المسيحية ليفرغ أسفه على إمبراطورية عظيمة الأمجاد يرضخ لآلهة وثنية. تاريخ الكنيسة التي جعلت أوروبا غارقة في عصور الظلمات، كذلك السعي إلى إدراك تأثير الفكر السياسي الأوغسطيني على مر السنين وخاصة عندما نتحدث عن سمو سلطة

الكنيسة على سلطة الأباطرة والحكام فكانت الآمرة الناهية، وخاصة ما برز في صكوك الغفران إذ تمكنت الكنيسة من القيام لغسل عقول الشعب المسيحي الذي اعتقد بشراء مكان في الجنة بأموال أو قطع ذهب وفضة.

الدراسات السابقة : أثناء معالجتنا لهذا العمل لاحظنا وجود دراسات لباحثين تقاطعت دراستهم ببعض نقاط مع دراستنا، وللأمانة العلمية ارتأينا أن نذكرها فقد ساعدتنا في توضيح وفهم العديد من المعارف العويصة، وتتمثل في:

1/ دراسة الدكتوراه التي أنجزها الباحثة إدريس نعيمة، بإشراف الأستاذ الدكتور زروخي إسماعيل، بجامعة منتوري قسنطينة، بعنوان "أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي"، ، وقد تمت مناقشتها سنة2008، وهي منشورة.

2/ دراسة الدكتوراه التي أنجزها الباحث عفيان محمد، بإشراف الأستاذ عبد المجيد دهوم، بجامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بعنوان"نظرية الدولة عند القديس أوغسطين–البعد الروحي للسلطة السياسية–، وقد تمت مناقشتها سنة2016، وهي منشورة.

3/ دراسة الدكتوراه التي أنجزها الباحث بوحجرة سماحي، بإشراف الأستاذ بوعرفة عبد القادر، بجامعة وهران2، بعنوان "المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط الغزالي بين التزامات العالم والزامات السلطان"، وقد تمت مناقشتها سنة2016، وهي منشورة.

4/ دراسة دكتوراه للباحث، زموري خديجة، بإشراف الأستاذ الدكتور سلاطنية عبد المالك، بجامعة 8ماي1945 قالمة، بعنوان "القديس أوغسطين بين السلطة الرومانية المجتمع المحلي، وقد تمت مناقشتها سنة2018، وهي منشورة.

5/ دراسة الدكتوراه التي أنجزتها الباحثة مزواد نسيبة، بإشراف الأستاذ الدكتور معيرش موسى، بجامعة الحاج لخضر باتنة، بعنوان "أوغسطين بين الدين والفلسفة"، وقد تمت مناقشتها سنة2020، وهي منشورة.

6/ دراسة الماجستير للباحثة بوفضة هدى، بإشراف الأستاذ الدكتور معيرش موسى، بجامعة الإخوة منتوري قسنطينة، بعنوان"دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة آرنولد توينبي المسيحية أنموذجا"، وقد تمت مناقشتها سنة 2008، وهي منشورة.

المصادر المستعملة :

- "**مدينة الإله**" من أبرز وأرقى الصور الدفاعية عن المسيحية في تاريخ الفكر والفلسفة، وهو كتاب يضم ف طياته 22كتابا، قسمت فيه بين المدينة الشيطانية وبين المدينة الإلهية.
- "**الاعترافات**" وهي من أبرز ما ألَّف، مؤلف من 13 كتابا، كان كتابه هذا بمثابة خواطر، أو سيرة ذاتية، إذ روى فيه عن طفولته، شبابه والمانوية، وإعترف بخطاياه، ومناجاة الرب للصفح عنه.
- "**خواطر فيلسوف في الحياة الروحية**" والذي يضم سبع كتب، ويستهله بشرح العواطف مثل الخوف، السعادة، الغضب البخل. . . ووعود الرب والتقرب إليه. أي نلاحظ فيه الجانب الإيماني الطاغي فيه على السياسة.
- "**تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب**" وفيه يقدم تعاليم للمسيحيين ويتطرق لبعض المسائل الإيمانية، ثم يعود ليتحدث عن المدينتين بشكل متفرق، وعن السعادة.

صعوبات وعوائق البحث: برزت مجموعة الصعوبات في عدم إلمامنا الكافي بتاريخ الكنيسة والمسيحية، إذ كمجتمع إسلامي قد حصرناها في الجانب الديني فقط. كذلك في تشعب الفكر الأوغسطيني وغياب التسلسل المعرفي في أقواله، إذ تجده يطرح السؤال ويمهد له ثم يتهرب عن

الإجابة بشكل واضح، وكذلك نجد معارفه مترابطة إذ يجمع ببراعة بين السياسة واللاهوت والتاريخ.

أهداف الدراسة: نهدف بدراستنا إلى تحقيق مجموعة من الغايات وتتمثل في:

الاهتمام بالفكر الأوغسطيني كونه يحمل صورة إبداعية سواء في السياسة أو اللاهوت أو القيم كقضايا الخير والشر، السعادة والشقاء، وغيها، كما لا ننسى الدور البارز الذي كان سباقا في تأثير الكنيسة على الغرب. وإحياء التراث العظيم لمفكري الجزائر التي أنجبت عقولا مبدعة، عقولا تدعو للسلام والبناء لمصلحة البشرية جمعاء.

الفصل الأول

الدولة بين المفهوم والتداعيات

توطئة.

المبحث الأول: مفهوم الدولة.

1/ البعد الايثمولوجي للدولة.

2/ البعد الاصطلاحي للدولة.

3/ البعد الفلسفي للدولة.

المبحث الثاني: جدل الدولة في الفكر الوسيط ق(2 . 3).

أ/ الفكر الوثني الروماني. وإشكالية السلطة.

- الوثنية الرومانية.
- السياسة والسلطة عند الرومان.

ب/ الفكر السياسي المسيحي الوسيط .

- القديس أمبروز.
- القديس أوغسطين.
- القديس جريجوري.

خلاصة.

توطئة :

أثار الفكر السياسي المسيحي أسئلة عدة في أذهان الفلاسفة والسياسيين وكل باحث عن المعرفة. ولطالما شكلت فكرة الدولة مسألة جوهرية في المنظومات الإجتماعية والسياسية منذ بدايتها إلى عصرنا الحالي. إذ إرتبطت فكرة الدولة بالتغير من حال لآخر وعدم الإستقرار. وإن تضارب الآراء حولها ولإختلافها يبرز مدى ضرورتها في تنظيم الكيان السياسي والإجتماعي والحضاري للدول، ونخص بالذكر الفكر الغربي والمسيحية في الفترة الوسيطية وما نتج عنها من حكات تنوير ونهضة أدت لبروز صارخ للدولة بمفهومها الحديث الذي تم فيه الفصل بين ماهو ديني وما هو سياسي.

إذ كانت الديانة السياسة عامة والسياسة المسيحية خاصة مرتبطة بالدين والعقيدة المسيحية، فلا تنفك تنفصل عما هو روحي. ومع كتلة الإختلاف الجوهري بين الوضع السياسي والإجتماعي والديني الذي نشأت فيه المسيحية في وسط بيئة وثنية تقدس الأباطرة وكانت هي تدعو إلى عبادة رب واحد. فقد تمكنت بدفاعات رجال الدين المسيحيين وحنكتهم والتي كانت حسبهم عناية إلهية مكنتها من إرساء مكانتها في داخل الإمبراطوري الرومانية الوثنية. إذ صارت المسيحية دينا رسميا لها. وسعت لتحقيق الوحدة الدينية والسياسية في الإمبراطورية.

وشهرة "أوغسطين" ذي الأصول الأمازيغية في السعي إلى التأسيس لدفاعات قويمة للديانة المسيحية فكان بالتالي من أبرز آباء الكنيسة. الذي أعطى للكنيسة السمو المقدس الذي تملكه من نعمة الرب. وتفوق به السلطة الزمنية كون العناية الإلهية والقانون الطبيعي هما اللذان يُسيران العالم والسلطة الزمنية. وكيف ساهمت دفاعاته وفكرته في "المدينة السماوية والمدينة الشيطانية" في التأثير اللاحق على تاريخ الكنيسة. التي استطاعت أن تجعل من الكنيسة سلطة عليا على السلطة الزمنية للأباطرة والحكام. وصارت سلطة مستبدة خالفت التعاليم التي كانت تدعوا لها سابقا. ومارست كل الأساليب العدوانية لبسط وفرض سلطتها. فهل هذا ما كان يرجوه أوغسطين في مؤلفه "مدينة الإله"، أن تطغى الكنيسة على الدولة؟ فكانت سبيل للجهل والدمار الحضاري. بدل أن تكون سبيل بناء الحضارة وتحقيق العدالة والقيم الأخلاقية.

المبحث الأول

مفهوم الدولة

****

لقد تعددت وتشعبت الآراء الفكرية والفلسفية ساعية إلى ضبط مفهوم ثابت للدولة، إلا أن هذا المفهوم يعتبر محل جدل بين مختلف الآراء والوجهات السياسية، النظريات الإجتماعية والفلسفية، حيث نجد تعاريف تتقارب من بعضها حينا، وقد تتنافر حينا آخر.

1/ الدولة إيثمولوجيا:

الدولة من الفعل دَال، يدُول، وقد ورد في "لسان العرب" أن الدولة:"**الدَّولةُ والدُّولة أي العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدُّولة بالضّم، في المال، والدَّولةُ بالفتح في الحرب، وقيل فيهما سواء. . . والجمع دُول ودُولاتٌ. . . كي لا يكون دُولةً أي متداولاً**". (ابن منظور، (د. ط)، ص1455). أي انتقال الأمر من حال إلى حال، ويتضمن هذا التغير وعدم الإستقرار. حيث أن:" **دَالت الأيامُ دَارت، والله يداولها بين النّاس، ودَال الدهر إنتقال من حال إلى حال. . . في حين كلمة الدولة بالفرنسية هيÈTAT ، وفي الإنجليزيةSTATE ، وهما مشتقتان من اللفظ STATUS**". (صليبا، ج، 1982، ص568). والعقبة من التعاقب والتغير، وهذا يعني أن لفظ " الدولة" يعني التداول والتبدل.

وإن كلمة: " **ÈTATتعني الحالة** ". (علوان، ف، 2008، ص231). والحالة قد تكون حالة ثابتة كما يعتقد بعض الغربيون، وقد تكون حالة متغيرة، وإن:" **STATEتعني حالة شخص أو شيء في زمن معين، وإقليم يحكمه جسم سياسي واحد، والأمة**". (فادي، ف، وراني، ن، 2007، ص718). وبالتالي فإن الأغلب هو أن الحالة لا ثبات لها فهي دائمة التذبذب والتغير من حال إلى لأخر، وهذا ما يبرز في ما نسميه نحن ب" الدولة". فلا دولة بقيت في حال إزدهار وقمة التطور والإنتعاش، بل آلت إما للضعف أو للدمار والإضمحلال. فهي كالإنسان يكون ضعيفا فيقوى ويشتد حاله ثم إذا به يضعف مرة أخرى ويفنى. وقد قال الله عزّوجل في كتابه الكريم:{ **مَّآ أَفَآءَ اَللَّهُ عَلَيٰ رَسُولِهِۦ مِنَ اَهْلِ اِلْقُرِيٰ فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِے اِلْقُرْبِيٰ والْيَتَٰمِيٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ اِلسَّبِيلِ كَےْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ اَلاغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَيٰكُمُ اُلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اُللَّهَ إِنَّ اَللَّهَ شَدِيدُ اُلْعِقَابِ** }. (القرآن الكريم، سورة

الحشر، الآية7). وبالتالي فإن كلمة "دُولةً" تشير إلى معنى متداولا، أي متغيرا من شخص لآخر.

وقيل أن:" **الغربيون لم يجدوا للدلالة على هذا الحكم تعبيرا أشد معنى من كلمة "STATUS" في اللاتينية، بل هو دائم وقائم ومستتب".** (حيدر، م، 2018، ص26). وهنا نلاحظ إختلاف العقليتين الغربية والشرقية، إذ بالغربيون مرة يقولون بالتغير وحينا آخر بالثبات. والشرقيون يجزمون بأنها تدل على التغير من حال إلى آخر. ورغم هذا الإختلاف إلا أنهم يشتركون في أن الدولة هي الإختلاف من حال إلى حال.

2/ الدولة إصطلاحا :

ثمة تعاريف عدة متعلقة بالدولة، وهذا ما جعل من قضية وفكرة "الدولة". مستمرة لحد الآن. بحيث أنه قد ورد في المعنى القانوني أن الدولة تعني:" **شخصية قانونية موحدة، وكيانا جماعيا دائما. يتمتع بسلطة الأمر والنهي على نحو فريد في المجتمع. يضم هيئة من الأشخاص الطبيعيين، يديرون السلطة العليا للدولة والتي تمارسها عنها وكالة الحكومة".** (الكيالي، ع، (د. ت)، ص702). فهي بذلك تجمع مجموعة من البشر في مكان جغرافي واحد ومحدد ذات جيش وقانون ومساحة وأنظمة حكم خاصة به، وخضوعهم لسلطة سياسة معينة تسعى للحفاظ على قوانينها وأراضيها بغية تحقيق أهدافها.

كما أن هذا التعريف قد وافقه تعريف يتقارب معه كثيرا، حيث أن:" **الدولة جمع من النّاس مستقرون وفق نظام خاص، أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة".** (صليبا، ج، 1982، ص568). وتختلف الحكومات من جمهورية، ملكية. وتكون الأمور في زمام الدولة.

وقد عبر العلامة"ابن خلدون" (1332- 1406). بقوله أن:"**أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة ومنهاج مستقرة، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة والإنتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فإن ذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول".** (ابن خلدون، ع، (د. ت)، ص28). وهذا القول يدل على أن الدول مؤسسة دائمة التبدل والتغيير ولا مستقرة، وكذلك يتحدث"ابن خلدون" في "المقدمة" على "العصبية" ويقصد بها الرابطة الدموية التي تتشكل بسببها القبيلة، وكلما اشتدت وزادت الرابطة والتعصب فإنها تبلغ درجة إحتكاك السلطة. وتكون بذلك سببا في إمتلاك السلطة(الدولة) وبذلك تكون ذات مركز وقوة إجتماعية.

وقد عرّف "كارل ماركس" **KARL MARX**(1818– 1883) الدولة قائلا بأنها:" **نتاج إنقسام وصراع طبقي بين طبقات المجتمع**". (خلواتي، م، (د. ت)، ص16). يعني أن الدولة تسبب صراع طبقي بين طبقة "البوليتاريا" وهي مصطلح سياسي ماركسي يدل على الفئة العاملة الكادحة التي تقوم بالجهد البدني. وبين كبقة"البورجوازية". وهنا نلاحظ رفضه للدولة إذ أنه يدعو إلى تشكيل"مجتمع شيوعي". وهو نظام إجتماعي وإقتصادي يتميز بملكية مشتركة لوسائل الإنتاج، وهو مجتمع تنعدم فيه الطبقية. إذ أن الدولة نظام البورجوازيين دون غيرهم. فالماركسيون فسّروا الدولة على أنها التنظيم السياسي للطبقة السائدة في الإقتصاد، وهذا منذ ظهور التقسيم الطبقي.

وقد عرّف "ماكس فيبر" **MAX VEBER** (1864– 1920) الدولة بأنها:" **منظمة سياسية إلزامية مع حكومة مركزية تحافظ على الإستخدام الشرعي للقوة في إطار معين للأراضي**". (المرعشي، ف، ب، م، (د. ت)، ص2). أي أن الدولة هي سلطة تعتمد على سلطة قانونية قومية تعتمد على أساليب القوة والعنف تحت مسميات شرعية قانونية لكي تبرر أفعالها اللاشرعية حينا، وللدفاع على أراضيها وشعبها حينا آخر. وإذا لم يتوفر العنف فإن الدولة تنهار وتنعدم. ويقصد بالحكومة المركزية حكومة تنتقل فيها السيادة إلى سيادة ودولة قومية ذات حكم ذاتي.

وقد ورد في "الموسوعة السياسية" أن الدولة هي:"**الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع والنّاظم لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه، بحيث تعلو إرادة الدولة شرعا فوق إرادات الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع، وذلك من خلال إمتلاك سلطة إصدار القوانين وإحتكار حيازة وسائل الإكراه وحقّ إستخدامها في سبيل تطبيق القانون بهدف ضبط حركة المجتمع وتأمين السلم والنّظام وتحقيق التقدم في الداخل والأمن من العدوان في الخارج**". (الكيالي، ع، (د. ت)، ص702). أي أن الدولة سلطة قانونية سياسية منظمة لكيان الإجتماعي تتميز بالقدرة على الأمر والنهي على نحو فريد في المجتمع، إذ أنها تعتمد على أربع ركائز وهي:الشعب، السلطة، الرقعة الجغرافية، رمز السيادة(العَلمُ).

وانطلاقا من هذه التعاريف نلاحظ أنها قد تشاركت في أنها تعرف الدولة بكونها مجموعة من البشر خاضعين لمؤسسة سياسية ذات سيادة وذات رقعة جغرافية محددة، كذلك نجدها تختلف في بعض النقاط منها أنه منهم من كان صريحا في اعتقاده بأنّ للدولة الحق المطلق في

ممارسة العنف باعتباره أساسيا لقيام الدولة أمثال "ماكس فيبر"وغيره، وهناك من يعتبرها الأمن والأمان وخادمة للمواطنين وراعية شؤونهم. في حين يوجد من يرفض وجودها مثل "كارل ماركس" بإعتبارها تؤدي إلى صراع طبقي.

3/ الدولة فلسفيا :

لعمق فكرة "الدولة" نجد عدة تعاريف وبحوث فلسفية واقعية درستها. فقد ورد في "موسوعة لالاند الفلسفية" أن الدولة هي:" **مجتمع منظم ذو حكومة مستقلة، ويضطلع بدور شخص معنويٌ، إعتباريٌ، مميزٌ تجاه المجتمعات المماثلة الأخرى التي يقيم معها علاقات وهي مجموعة الخدمات العامة لأمة من الأمم، بهذا المعنى الدولة تقابل المقاطعة، المحافظة، الولاية، إلخ**". (لالاند، أ، 2001، ص369). أي الدولة مجتمع له حكومة مستقلة والشخصية الحاكمة في الدولة تكون متميزة، كما أن الدول تختلف فيما بينها من حيث تكوينها ونظام الحكم فيها. والحاكم هو المسير ومنظم أمورها.

ولقد ورد تعريف آخر للدولة يرى بأنها:"**تنظيم سياسي يكفل حماية القانون وتأمين النظام لجماعة من النّاس، تعيش على أرض معينة بصفة دائمة**". (الحفنى، ع، 2000، ص352).

كما أن الفيلسوف اليوناني المثالي"أفلاطون" **PLTON** (427-348ق. م). قد كانت غايته هي:"**تحديد صورة الدولة المثالية**". (باور، أ، ح، 2016، ص36). أي أنه كان يسعى للوصول إلى "المدينة المثالية الفاضلة"، والتّي تشترط فيها أنها:"**دولة تتحقق فيها العدالة، بحيث أنه ابتكر مدينة مفارقة للعالم الحسي النسبي، وهي مدينة نموذجية تقوم على المعرفة**". (بريبه، إ، 1981، ص129). أي أن الدولة لا تقو غلا بالفضيلة، وهذه الأخيرة لا تتوفر إلا في أصحاب المعرفة، الذين يتميزون بالحكمة وهم الفلاسفة، وتقوم الدولة على إحترام القانون.

أما بالنسبة لتلميذه"أرسطو" **ARISTOTE** (384- 322ق. م) قد كان واقعيا على أستاذه " أفلاطون". إذ أنه عرّف الدولة بأنها:"**ظاهرة طبيعية نشأت نتيجة ائتلاف قرى كثيرة من أجل تحقيق الإكتفاء الذاتي**". (حيدر، م، 2018، ص29). أي أن الأسرة هي نواة المجتمع، ولما تتشكل القرى فإنها تتبادل المنافع وتنشأ الدولة، أو كما يصطلح عليها اليونانيون لفظ ""دولة المدينة" (**polis**) وهي تتميز بصغر حجم رقعة الأرض وقلة عدد سكانها، كما أن لكل مدينة جيشها الخاص بها. فهي إذا:" **كائن عضوي يتألف من مجموعات من الخلايا هي**

الأسر"(مرحبا، ع، 1983، ص211). وهنا نجده يشبه "دولة المدينة" بالجسد الحي الذي تتآلف أعضاءه لبقاءه قائما سليما.

وبالتالي، فقد قامت الدول القديمة على أساس إجتماعي، ثقافي، ديني، شمولي، بما في ذلك **دولة المدينة عند الإغريق، وقد اعتبروها نموذجا مثاليا للمجتمع، لكونها قادرة على تحقيق الإكتفاء الذاتي إقتصاديا وإجتماعيا وأخلاقيا**". (الهلالي، م، 2011، ص10).

وبالنسبة للفلاسفة الإسلاميون نجد "الفارابي"**AL FARABI** (870- 950م). فقد اهتم بدراسة المجتمعات البشرية إذ أن:" **فالمجتمعات البشرية منها ما هو كامل ومنها ما هو غير كامل، والكامل منها ثلاثة: العظمى وهي المعمورة، وهي سكان الأرض جميعا. . . ثم الوسطى وهي أمة معينة. . . والصغرى وهي المدينة أو الدولة**". (إمام، ع، إ، 2001، ص203). وبالتالي المدينة هي أول الكمالات، كما يرى بأن الكمال والخير والسعادة تبدأ من المجموعة البشرية الصغرى وهي"المدينة" إذ يقول:" **فالخير الأفضل والكمال الأقصى** إنما ينال أولا بالمدينة لا بالإجتماع الذي هو أنقص منها". (الفارابي، أ، (د. ت)، ص72). فالمدينة التي يجتمع فيها الأهالي بالتعاون هي التي تبلغ السعادة، فتصبح من مدينة فاضلة إلى أمة. والتي تتكون من مدن عدة فتتعاون على تحقيق السعادة تصبح معمورة فاضلة.

وبالنسبة لآباء الكنيسة نجد" توما الإكويني"**THOMAS AQUIN** (1226-1274م) والذي عرّف الدولة بقوله:"**أنها هيئة موحدة بتنظيم أفرادها مثلها مثل الجيش يعاون عمل الجندي فيه الجموع دون أن يختلط به**". (بن زيد، ع، 2022، ص5). بمعنى أن الدولة قائمة على جماعات إنسانية تعتمد على العقل والإرادة في تعاقدها.

ونجد"توماس هوبز" **THOMAS HOBBES** (1588- 1679) قد قال عن الدولة شرطا مهما لقيامها، فإذا إنعدم هذا الشرط إنعدمت، إذ قال:" **توجد الدولة متى وجدت القوة السيادية وتنتهي إذا ما زالت هذه القوة**". (باور، أ، ح، 2016، ص163). وهذه القوة التي يعنيها هوبز تكون كابحة للفوضى البشرية فهي:"**قوة قاهرة تضمن الأمن للجميع**". (ملاح، أ، 2006، ص100). وهذا لأنه يؤمن وهو صاحب مقولة "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" وليأمن الإنسان على حياته وممتلكاته عليه أن يتخلى عن بعض حقوقه لحاكم يكفل لهم كرامتهم وحياتهم. ولا بأس للدولة أن تمارس العنف والقوة والجبروت لفعل ذلك وتحقيق الإستقرار. كما يعرفها

بأنها:"**مجتمع صناعي**". (إمام، ع، إ، 2002، ص268). ويقصد بهذا أن الإنسان بإمكانه صناعة عالم كما خلق الله عالم الطبيعة. وهو الدولة.

وقد قال "جون لوك" JOHN LOCKE (1632- 1704) معبرا عن الدولة:" **يبدو لي أن الدولة جماعة من النّاس تكونت لغرض وحيد، وهو المحافظة على خيراتهم المدنية وتنميتها**". (الحلايقة، غ، (د. ت)، ص4). أي أن الدولة قد تكونت لغايات تسعى للوصول لها كضمان العيش الكريم والأمن وتحقيق القانون. وهي ما تحدث عنه "جون لوك" دعاه ب"العقد الإجتماعي" وهو:" **عقد بمقتضاه يتنازل كل فرد عن نفسه وعن حقوقه للإرادة الكلية، ويصبح كل فرد جزء لا يتجزأ من الكل**". (وهبة، م، 2007، ص421). أي أن يتخلى النّاس عن بعض حرياتهم لشخص حاكم. فيخضعون له مقابل حماية حقوقهم.

كما يرى "فريدريك هيغل"**FRÈDÈRIC HEGEL** (1770- 1830). أن الدولة هي :"**الوجود بالفعل للفكرة الأخلاقية، فهي الروح الأخلاقي من حيث هو إرادة جوهرية، تتجلى وتظهر وتعرف وتفكر في ذاتها، وتنجز ما تعرف بمقدار ما تعرف. . . فإن هذه الغاية النهائية لها حقّ أعلى أو أسمى من الفرد، ذلك أن واجب الفرد الأسمى هو أن يكون عضوا في الدولة**". (بوفضة، ه، 2008، ص75). وهذا يعني أن الدولة هي حق إلهي أو ضرورة تاريخية لابّد منها، وهي تعبير عن وحدة المجتمع.

كذلك نجد أن الدولة هي:"**تنظيم إجتماعي. . . إذ أنها في خدمة الفرد لكي يحقق غايته فهي مقبولة شرعية مع أنها تبقى إصطناعية ومؤقتة مثل جميع الكائنات**". (العروي، ع، 2011، ص14). أي أن الدول نسبية وغير ثابتة متغيرة، تظهر ثم تقوى وتزدهر فإذا بها تنهار وتنقضي، لكن رغم ذلك فإن لها أهمية في حياة الإنسانية والإجتماعية والكونية. فإذا عارضت الهدف الأسمى تتعرض للاضمحلال.

وانطلاقا من هذه التعاريف الفلسفية لمفهوم الدولة لنجد أنها تشترك في أنّ الدولة سلطة عليا يُوكل إليها تدبير الشأن العام وتنظيم الحياة الإجتماعية والإقتصادية. فهي مؤسسة تسعى:"**لتنظيم الحياة الإجتماعية والسياسية**". (الكيالي، ع، (د. ت)، ص703). وهذا عبارة عن تعريف عام وشامل. تشترك فيه الآراء الفلسفية والسياسية والإجتماعية.

وفي هذا السياق وحسب ما لدينا من أنموذج" القديس أوغسطين"**SAINT AUGUSTIN** (354-430م). فهل هذا التعريف الشامل يتطابق مع تعريف "أوغسطين" للدولة بأنها:"

مجموعة عاقلة تتوحد حول تملك مشترك وهادئ لمن تحب، وإذا أراد إنسان أن يعرف شعبا ما عليه بكل تأكيد أن يتأمل فيما يحب، ولكن أيّا يكون موضوع حبه وإجتمعت مخلوقات عاقلة دون الحيوانات وإرتبطت فيما بينها في تملك مشترك وهادئ لما تُحب، حقّ لها شرعا إسم دولة، وتكون دولة ممتازة إذا كانت المصلحة التي تجمع بين أفرادها شريفة والعكس صحيح". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص161). أي أن الدولة هي مجموعة من الأشخاص يحكمهم قانون يطبق على الجميع لتحقيق مصالحهم وإنّ الشعب هو الذي يُكوّن الدولة ويجب أن تكون المحبة بين الأشخاص وكلما كانت المصالح المشتركة بين النّاس قائمة على السلم والنظام تكون في إزدهار مستمر والعكس صحيح.

وخلاصة القول إن مفهوم المدينة يختلف عن مفهوم الدولة، حيث أن المدينة هي رقعة جغرافية تضم فئة من السكان يجتمعون في منطقة سكنية يعيشون عليها، ويسكنون بقرب بعضهم البعض في منازل منفصلة أو مساكن متعددة الشقق (عمارات)، وتخضع المدينة إلى حكم الدولة ولكل مدينة هيئة سياسية تراقب حاجياتها وتوصل مشاغلها لحاكم الدولة. وتسمى في بعض الدول محافظات أو مقاطعات، إذ تكون التجمعات السكانية فيها أقل من الدولة. في حين أن الدولة فهي تقوم على سلطة سياسية تعتمد على ركائز أساسية هي:الشعب، السلطة، الرقعة الجغرافية، ورمز السيادة. وتجمع ملايين السكان في رقعة جغرافية لتتمكن الدولة من ممارسة سلطتها في حيِّزها إستغلال أراضيها وثرواتها لتحقيق الإكتفاء لشعبها، وتضم عدة مدن تخضع لسلطة حاكم الدولة، فالسلطة أساس الدولة فهي تنظم الشعب وتوفر الإستقرار للدولة. ويستحيل وجود الدولة بمميزاتها السياسية في حال غياب السلطة. ومنه فإنه:"**من المستحيل قيام المدينة أو الدولة دون الوحدة السياسية، أو وحدة الجماعة. . . ومن ثمة يجب إخضاعهم لقوانين واحدة**". (بوعرفة، ع، 2006، ص89).

المبحث الثاني

جدل السلطة والدولة في الفكر الوسيط (ق2 . 3م)

****

1/ الفكر الوثني الروماني وإشكالية السلطة:

تعتبر الحضارة الرومانية من أعظم الحضارات التي عبرت البر والبحر باسطة نفوذها،قاهرة العالم بجيوشه. فقد سبقت الفترة المسيحية بقرون وعايشت ظهور المسيحية. إذ تروي الأساطير أن روما تم تأسيسها على يد:"**الأخوان رومولوس وريموس. فقام رومولوس بقتل ريموس وإنشاء قرية باسمه "روما" عام 745ق. م**". (بن ثابت، ع. كاكي، م، 2021، ص9). وبالتالي فإن لفظ روما مشتق من "رومولوس". والذي بطبيعة الحال كان أول ملوك روما. وأهم ما تميزت به روما هو "مجلس الشيوخ" الذين هم جماعة من النبلاء يخول لهم الأمر في إختيار الملك كون الملكية لم تكن وراثية .

لقد ظهرت روما كمدينة تضم عدة قبائل. لكن بفضل حنكة قادتها حكموا العالم مؤسسين "إمبراطورية":"**فقد ولدت الإمبراطورية الرومانية رسميا عام27ق. م. وانتهت مع إحتلال روما من جانب قوط الألاريك عام 410. أو عام 476. . . نتيجة للغارات التي قام بها الجرمان**". (باتريك، ل، 2008، ص7). وهؤلاء هم مجموعة من البرابرة البارعين في القتال بالسيف. ويعتبر "ألاريك"**ALARIC**(370-410م). وهو:"**قائد روماني. . . من أسرة أرستقراطية من قبيلة القوط الغربيين، كان أحد القادة في عهد الإمبراطور ثيوديسيوس، كما كان قائد القوط الغربيين الذين حاصروا روما وإقتحموها سنو410م، لكنه لم يهنئ بهذا الإنتصار إذ في نهاية نفس السنة ألمَّ به مرض أدى إلى وفاته**". (زموري، خ، 2018، ص98). وقد كانت:" **روما في أول الأمر دولة صغيرة ذات مدينة واحدة لا تختلف عن أمثالها من دول اليونان**". (راسل، ب، 2010(A)، ص418).

ولقد إنصرف الرومان إلى:"**التوسع والفتوح. فخاضوا حروبا مع الشعوب الإيطالية المجاورة في القرنين4 و5ق. م. . . وقد كان كل نصر يقود روما إلى فتح آخر. . . وإمتدت الفتوحات شرقا وغربا يساعدها مركز ايطاليا في قلب عالم البحر المتوسط**". (الكيالي، ع، (د. ط)، ص853، 854). إذ أن الرومان قد خاضوا حروبا عدة رغبة في التوسع وبسط نفوذهم. إذ

استولوا على شمال إفريقية وإسبانيا واليونان وغيرها. وهذا يبرز التعدد الثقافي والديني الذي ساد فيها. إلا أن المعتقد الديني الذي شاع هو الوثنية.

*الوثنية الرومانية :

لقد قامت الحضارات القديمة على عباد الأوثان. وقد كان للحضارة اليونانية الأثر الكبير في الحضارة الرومانية خاصة من الجانب الديني إذ:" **ولجت المعتقدات الوثنية اليونانية إلى الرومان حيث شُيّد في ق5 معابد للآلهة اليونانية. . . هرميس. . . كاستور. . . أبولو. . .** " (الأحمد، س، س، (د. ط)، ص58). إذ أن الحضارة الرومانية تتميز ب:"**تسامحها الديني**". (زموري، خ، 2018، ص41). إذ كانت تضم الوثنيين بكل أشكال عباداتهم إلا أنها قد عارضت المسيحية في بادئ الأمر.

إن هذه الممارسات الوثنية قد :"**أسهمت في التماسك الإجتماعي لمواطنيها. . . فكانت وسيلة فعالة للتحكم الاجتماعي. . . إذ أن الصالح الأكبر للدولة كان في صميم نحل دينية عكفت على عبادة آلهة مثل جوبيتر وجونو ومارس**". (حيدر، م، 2018، ص59). وبهذا فقد إعتبر الرومانيون أن الفضل في قوتهم راجع لإخلاصهم للآلهة. إذ ينبغي الشارة إلى أن"جوبيتر"يعني كوكب المريخ، **و**"جونو" تعتبر ملكة السماء، **و**"مارس" هو كوكب المشتري ويقصد به إله الحرب .

* السياسة والسلطة عند الرومان:

لم يكن الرومانيون أشباه الإغريقيون في حياة التفكير الفلسفي والسياسي الذي إرتبط غالبا بالأخلاق، حيث أن:"**العبقرية الرومانية كانت بعيدة عن التأمل والتفكير. . . إن فراغ الإغريق الحافل بالتأمل. . . يثير لدى الرومان نفورا غريزيا، إن تاريخ أفكارهم ينطلق من مسلمة عشَ أولا ثم تفلسف**". (توشار، ج، 2010، ص95). وهذا يدل على حبهم لخوض الحروب وهزم الجيوش والتوسع، أما التفكير الفلسفي والتأمل يأتي في مرحلة أخيرة.

وأما بالنسبة للسلطة **AUTORITÈ** وهي:"**القدرة على إصدار الأمر والتنفيذ. وفي المسائل الدينية السلطة تفيد الوحي**". (وهبة، م، 2007، ص351). إذ أن صاحب السلطة يجب أن يطاع إذا ما أمر أو أقر قانونا.

كما أن مفردة:"**السلطة AUTHORITY إشتق لفظها من اللاتينية AUCTORITAS، أو بالفرنسية AUTORITE بمعنى حجة. . . وهي بمعنى القدرة والاستطاعة**". (النائب، أ،

ع، 2017، ص66). بمعنى أن السلطة غالبا ما ترتبط بالعنف وإستخدام القوة. إما للحفاظ على إستقرار الدولة. وإما من أجل فرض هيمنته وتلبية أموره الخاصة.

ولقد مرت الحضارة الرومانية بثلاث مراحل من أنظمة الحكم وهي على التوالي:

أ/ الحكم الملكي : لقد سبق وأشرنا إلى أن أول ملك كان"رومولوس". وقد دامت فترة هذا النظام من:"**789ق. م-509ق. م، وكان المجتمع الروماني في العصر الملكي مجتمعا محدود العدد مغلقا في علاقاته الخارجية وبدائيا في نشاطه الاقتصادي. وكانت روما في ذلك العصر دولة مدينة، تتألف مؤسسات الحكم فيها من الملك. . . حيث كان القائد العسكري والقاضي الأعلى ورئيس الكهنة. . . أما مجلس الشيوخ فكان يضم رؤساء الأسر الكبيرة وهو مجلس إستشاري. . . وجماعات تدعى مجلس الجماعات وكان يتألف من المزارعين والرعاة والحرفيين**". (حميداني، س، 2017، ص54). وأن نظام الحكم لم يكن وراثيا بل بإختيار الشخص الذي يتفق عليه مجلس الشيوخ مع أخذ موافقة الشعب. وقد ذكر بأنه حكم روما:"**سبع ملوك**". (زعيتري، أ، 2020، ص10). ومع طغيان الملوك قد تم إلغاء الملكية من روما وإستبدالها لنظام جمهوري.

ب/ الحكم الجمهوري: لقد تم إعلان الجمهورية الرومانية ودامت من:"**509ق. م-27ق. م، ليصبح مجلس الشيوخ بمثابة الجهاز الرئيسي للجمهورية الرومانية. . . وحدث تطور مهم في شكل هذا النظام حين تم الاتفاق عام451ق. م، على تدوين القوانين الرومانية فيما أصبح يعرف فيما بعد بقوانين الألواح الاثني عشر"lex duodecim tabularu"**. (حميداني، س، 2017، ص54، 55). وفي هذه المرحلة من الحكم برز ما يسمى بالدستور المختلط والذي مثلته الملكية بمناصب الحكم، والأرستقراطية بمجلس الشيوخ، والديمقراطية بالجمعيات الشعبية. وحين تعرض الأرستقراطيون للعامة بالإنتهاكات الظلم فقد طالب العامة بإنشاء قوانين رسمية مجسدة لحماية حقوقهم وحرياتهم. وسمي ب"قوانين الألواح الاثني عشر"وقد تضمنت: "**ثلاث مواضيع مهمة هي: تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق بين طبقتي الأشراف والعامة، ضمان حماية القانون للمواطنين، وتحديد السلطة المطلقة للقضاة. . . بقيت من عام 450ق. م إلى غاية390ق. م عندما دخلت قبائل الغال لروما ونهبها وأحرقت الألواح**"(خالد، ش، 2015، ص135).

ج/ الحكم الإمبراطوري: لقد برز النظام الإمبراطوري مع توسيع الأراضي الرومانية، إذ إستحال التحكم في كل تلك الأراضي، وبذلك كان لكل منطقة حاكم يرجع إلى الإمبراطور. وإمتدت من:"**القرن27ق. م-476ق. م، يبدأ هذا العصر مع"غايوس أوكتافيوس GAIUS OCTAVIUS (63ق. م-14م). . . وكونت إصلاحاته السياسية النظام الإمبراطوري الجديد التي ترسخت على مدى نصف قرن تقريبا من حكمه. ويمثل القرن الأول لهذا العصر مرحلة نظام الحكم الفردي، . . . ومن بين الأحداث الهامة. . . للإمبراطورية الرومانية ظهور المسيحية**". (حميداني، س، 2017، ص56).

ولقد تم تأليه الكثير من الأباطرة وهذا ما زاد في سطوتهم وبطشهم إذ ساد بأن الإمبراطور تدعمه الآلهة حيث أنه:"**حمل صورة سلطة ما فوق بشرية . . . فالإمبراطور يذكرنا بأنه الساهر على الأخطار التي تهدد الإمبراطورية بشكل دائم**". (باتريك، ج، 2008، ص35). هذا كونه صاحب السلطة المطلقة في دولته بالرغم من وجود "مجلس الشيوخ". ويتفق هذا مع:"**الأفكار السائدة في العالم القديم أن يضم الحاكم العظيم، بعد وفاته إلى قائمة أسماء من تعبدهم الدولة، وبذلك يصبح إلها**". (العلام، ع، 2019، ص6). ومنه فإن سلطة الإمبراطور تستغل هذا الدين الذي يستتب في قلوب الرومان فيمتثلون له بالطاعة والولاء.

في ظل الحكم الإمبراطوري ظهرت الديانة المسيحية وقد رفضت قطعيا في بادئ الأمر، لكن مع زمن الإمبراطور"قسطنطين" الذي:"**إعتنق الدين المسيحي الذي صار دين الدولة الرسمي، وفي سنة 313م. . . أصدر بيانا في عدم التعصب الديني بالإمبراطورية وصارت المسيحية دينا مساويا للوثنية**". (الأحمد، س، س، (د. ت)، ص238). وبذلك فقد تخلص المسيحيون من سياسة الإضطهاد والتضييق عليهم. وهنا تتضارب الآراء حول ما إذا كان"قسطنطين" قد صار مسيحيا، من أجل الديانة المسيحية وإقتناعه بها. وهناك من يبرر هذا برغبته الحفاظ على وحدة أهالي الإمبراطورية. أو كان يريد:" **التأكيد على أنه الكاهن الأعلى PONTIFEX MAXIMUS للكنيسة والدولة معا**". (زايد، م، ع، 2016، ص70). وبهذا يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية فلا يخرج عن ولائه لا المسيحيين ولا الوثنيين.

ومع ما تعرضت له الإمبراطورية الرومانية من هجومات فإنه قد شاع بين الناس أن:"**المدينة الخالدة التي احتفظت بأباطرتها الوثنيين كان ينبغي أن تسقط عند إعتناق أحد حكامها الديانة المسيحية**". (عطية، ع، 2020، ص6). إذ أنهم إعتقدوا بأن الآلهة قد غضبت

للسماح بدين مناقض للوثنية، ويعيب الآلهة الرومانية بأن يصبح له حيزا من الحرية. بل ويصبح دين رسمي للدولة.

وبعد هذا التوضيح للفكر السياسي والمعتقد الوثني عند الرومان، وإنشغالهم عن التنظير والتأمل السياسي، إلا أنه يوجد بعض المفكرين السياسيين الذين حملوا على عاتقهم أمانة الفكر نذكر كل من: (بوليبيوس – شيشرون – سينيكا).

- **بوليبيوس** : لقد كان "بوليبيوس" يونانيا وقع أسيرا في روما. ولد عام:" **204–122ق. م، . . . وأهم ما قدمه بوليبيوس نظريته في دورة أشكال الحكومات. . . حيث قسم الحكومات إلى ستة أنواع، ثلاثة منها نقية. . . هي: الملكية، والأرستقراطية، والديمقراطية. وتقابلها ثلاثة مختلطة هي الإستبدادية، والأوليجاركية، والأوكلوقراطية"**. (توفيق، م، ح، 2019، ص143). حيث أن الحياة السياسية تبدأ بالنظام الملكي ثم إذا ما فسدت أخلاق الملكية فإنها تتحول إلى إستبدادية قائمة على الطغيان، وبذلك يثور النبلاء للتخلص من الطاغية، فينشأ عن ذلك الأرستقراطية، والأرستقراطية تؤدي إلى هضم حقوق العامة، وبذلك تظهر الأوليجاركية والتي تعني الأقلية الغنية، ومنه يثور العامة عليها فتظهر بذلك الديمقراطية، بالرغم من هذا إلى أنه ستعم الفوضى وإزاء هذا تظهر الأوكلوقراطية، هي نظام الفوضوي الغوغائي القائم على العنف والقوة.

وقد أرجع "بوليبيوس" قوة روما إلى اتخاذها "الدستور المختلط":" **من خلاله يتمثل العنصر الملكي في القنصل، والعنصر الأرستقراطي في مجلس السيناتور، والعنصر الديمقراطي في المجالس الشعبية"**. (مهنا، م، ن. 1999. ص80). إذ أن"القنصل" هو القائد العسكري، و"السيناتور"هو مجلس الشيوخ .

- **شيشرون:** لقد كان ل"شيشرون" الدور الكبير في المنحى الذي إتخذته السياسية الرومانية، حيث أنه نقل الفلسفة اليونانية إلى اللاتينية ولد عام:"**106–42ق. م، وكان محاميا وخطيبا وسياسيا. . . وهو ماركوس تلليرس شيشرون. . . وقد كتب كتبا عدة منها في الإدارة. . . والجمهورية، ونظريات الطيب الرفيع والشر، طبيعة الآلهة، الصداقة، الكهولة"**. (الأحمد، س، س، (د. ت)، ص104–105). وقد تم إعدامه بسبب أنه ساهم في سقوط الحكم الجمهوري وقيام النظام الإمبراطوري. وقد إعتبر"شيشرون" الدولة بأنها:"**كائنا طبيعيا ينمو نتيجة نمو الحياة الاجتماعية بين الأفراد ولم يعتبرها هيئة**

مصطنعة تنشأ لتحقيق مصالح الأفراد، كما فسر الحكومة على أنها مؤسسة تنشأ بهدف المحافظة على وحدة الجماعة". (توفيق، م، ح، 2019، ص147). وهذا يعني أن الدولة هي شيء ضروري طبيعي يحتاجه البشر، وهذا لحاجتهم التجمع تحت سلطة معينة. إذ تسعى الدولة إلى تحقيق مصالح مشتركة لأهالي الدولة، فلا تكون ذات مصالح خاصة تخص فئة دون غيرها. كما أنه أكد لأن انعدام الأخلاق في الدولة سيؤدي حتما لانهيارها، فالدولة بحاجة للفضيلة والعدالة. كما نجده قد جعل من "السلطة" ضرورة واجبة، إذ أن:"**هناك أفراد شعب يعيش بشكل منتظم في مدينة فالسلطة واجبة في تنظيم أموره، والسلطة لا يمكن أن تكون إلا نتيجة للحياة في جماعة لا ترتبط بشخص الحاكم بل تنبع من الجماعة وهي ظاهرة ترتبط بالشعب"**. (هنا، م، ن، 1999، ص86). بحيث أن السلطة بحاجة لحاكم يقوم بتحقيق الخير العام لأهالي دولته وتسييرها وتنظيمها، إذ أن الشعب يعيش في رقعة جغرافية محددة ويخضع لسلطة معينة وكون مصالحة مشتركة. ويجب توفر الدستور المختلط ليحقق التوازن.

كما نجده قد تطرق لفكرة مهمة وهي "القانون الطبيعي"، حيث أنه :"**قانون طبيعي عام ينبثق من واقع حكم العناية الإلهية للعالم. . . وفي هذه النظرة تكون فكرة دستور دولة العالم، أي دستور واحد. . . لا يتغير. . . كما يحد من جنوح الناس إلى إرتكاب ما هو خطأ. . . كما لا يجوز تعطيل أحكامه بتشريعات من حكم البشر. . . ولن يكون إلا سيد وحاكم واحد هو الله"**. (سباين، ج، (د. ت)، ص52، 54). وهذا يدل على أن "شيشرون" يميز بين نوعان من القوانين. قانون من صنع البشر وهو قابل للتغيير، أما القانون الآخر هو قانون نابع من حكمة الرب. غير قابل للزوال.

- **سينيكا** : مفكر سياسي روماني، ولد عام:"**4ق. م- 65م، هو لوكيوس أناسيوس سينيكا. . . روماني ولد باسبانيا، كاتب وخطيب. . . إستدعته والدة الإمبراطور الروماني "تيرون". . . وعندما أصبح "نيرون" قيصرا عيَّن "سينيكا" مستشاره الأول حتى عام 62م. إلا أنه في خضم شكوكه فقد إتهم "سينيكا" بالتآمر عليه وأجبره على الإنتحار سنة 65م"**. (حميداني، س، 2017، ص62). لقد كان سينيكا يحبذ "نظام الملكية" حتى ولو كانت طاغية حيث أنه قد:"**أقر الحكم الديكتاتوري حيث أن الشعب يتميز بالفساد، وأن حكم الشعب يتميز بالطغيان والظلم أكثر من حكم الديكتاتورية، وأوضح أن السياسة ليست مجالا للرجل**

الفاضل". (توفيق، ح، 2019، ص148). لأن الحاكم يقود والشعب يطيع أما الشعب إن حكم فإنه تعم الفوضى. وأن أخلاق الإنسان الفاضل لا تناسب أخلاق السياسة غير الفاضلة. وعليه أن يتفرغ لعالم الأخلاق الفاضلة. إضافةً لتطرقه إلى مرحلة سماها ب:**"العصر الذهبي الذي يدور حول أن الأفراد وجدوا مجتمع مثالي سابق على وجود الدولة وعاشوا حياة بسيطة وتمتعوا بالمساواة المطلقة. . . لكن تطور المدينة أدى لظهور الحكومة والدولة"**. (توفيق، م، ح، 2019، ص149). وبذلك فهو يفضل الفترة التي لم يكن فيها للدولة وجود، حيث أنه مجتمع غابت فيه الشرور، في حين أن الدولة قد ظهرت بسبب انتشار الشرور. فهي التي ستحد من وقوع الشرور.

2/ الفكر السياسي المسيحي الوسيط :

تعتبر الديانة المسيحية ديانة سماوية، وهي رسالة أنزلها الله تعالى على بني إسرائيل ليخرجهم من ظلمات الوثنية، إذ جعل الله تعالى من سيدنا "عيسى عليه السلام" معجزة وآية من آياته، إذ حملت به أمه سيدتنا "مريم عليها السلام" من غير تواجد بشر إذ قال تعالى{ **قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰما زَكِيّا (18) قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰم وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَر وَلَمۡ أَكُ بَغِيّا** }. (القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 19، 20).

ولم يكن "عيسى عليه السلام" إلا نبيا وبشرا رسولا، إلا أن المعتقدات الوثنية قد طغت على عقول المسيحيين فجعلوه إلها. وقالوا بعقيدة التثليث {الله الأب، الله الإبن، روح القدس}. وبذلك فإن:**"المسيحية ظاهرة مركبة نموها وتطوها والشكل الذي أخذته قد صُبغ وطُبع بالقوى الروحية للهيلينية الوثنية، التي من جهتها تعتبر حافظة إرث التاريخ الروحي اليوناني، لكن في نفس الوقت تأثرت بديانات الشرق. . . المؤكد أن عيسى لم يبشر بمعظم العقائد المعتمدة، لم يُوله نفسه، ولم يدعي أنه إبن إله، ولم يؤسس كنيسة"**. (إدريس، ن، 2008، ص31، 32). وبهذا فقد تعرضت الديانة المسيحية للكثير من التحريفات، وخاصة بعدما تنصر الكثير من الوثنيين الرومانيين وما أدخلوه من عقائد وثنية وخاصة ما ظهر في تصويرهم للمسيح وبالرغم من إنكارهم لإرتباط المسيحية بالوثنية إلا أن تصوير المسيح وتجسيده في صورة أو تمثال فإن هذا لا يعبر إلا على فعل وثني.

لقد كانت المسيحية في البدء ديانة غير مرحب بها. إذ سادت العبادات الوثنية في الإمبراطورية الرومانية، إذ إعتقد الوثنيون أن هذا الدين الجديد الذي يدعو لعبادة رب واحد يعرضهم لغضب

الآلهة، لذلك فقد حاربوه بشدة كما تعرض المسيحيون للإضطهاد. إلا أن المسيحيون قد تعلقت قلوبهم بالمسيحية وكان إنتشارها بطيئا جدا إذ لم يتعدى القساوسة طبقة الشعب البسيطة إذ وجدوا في المسيحية القيم الخير من حب وعدالة ومساواة، أما بالنسبة للسلطة فلم يقوموا بالتبشير للإمبراطور إذ عملوا بقول:"**ما لقيصر لقيصر وما لله لله**". (رأفت، ع، 2002، ص11). إذ كانوا يطيعون الحاكم، إلى أن جاء "الإمبراطور قسطنطين"

وإعترف بالمسيحية كدين للإمبراطورية وهذا في القرن4م. وبهذا فقد أخذت الكنيسة الحرية في ممارسة طقوسها. كما تم إعفاءها من الضرائب وشيّدوا الكنائس.

المسيحية هي دين يهتم بما هو روحي معنوي فقط وليست منشغلة بأمور الدنيا، فهذا كان في البداية، أما مع الزمن فقد سعت الكنيسة لأن تصبح سلطتها مثل سلطة الإمبراطور، وهذا ما تحقق بعد سنوات كثيرة وقرون. إذ نجد القديس "أمبروز" **AMBROISE** (333– 340م) قد كتب إلى:"**الإمبراطور فالنتنيان. . . الجزية لقيصر. . . ذلك شيء لا ننكره، والكنيسة لله. . . من ثم فلا تخضع لقيصر. . . الإمبراطور داخل الكنيسة وليس فوقها**". (رأفت، ع، 2002، ص12). وقد سعى الباباوات والقساوسة إلى تحقيق قيام ملكة الرب على الأرض.

ولقد ظهر العديد من القديسين الذين دافعوا عن العقيدة المسيحية نذكر من بينهم {القديس أمبروز– القديس أوغسطين – القديس جريجوري}.

➢ القديس أمبروز (Saint Ambroise):

يعتبر "أمبروز"من أهم القديسين الذي برزوا بدفاعهم عن المسيحية، فقد ولد ب:"**ميلانو. . . وتميز آراءه بالتأكيد على ضرورة إستقلال الكنيسة بإعتبارها المسؤولية عن الجانب الروحي بما فيهم رئيس السلطة الزمنية**". (مهنا، م، ن، 1999، ص111). ومنه نلاحظ أن الكنيسة قد جعلت من السلطة الزمنية والتي هي الإمبراطورية خاضعة للكنيسة. لأن الكنيسة من حكم الرب والقساوسة والباباوات هم موكلين ومفوضين من الرب لخدمة رسالته. حتى أن هناك من ألقى على الأباطرة اللعنة الربانية علانية وطرده من رحمة الرب ومملكته. إذ إرتكب أحد الأباطرة الرومان"ثيوديسيوس" مجزرة في حق المسيحيين، فكان موقف "أمبروز" صارم إذ:"**منع الإمبراطور من حضور إحتفال القداس. أو حتى الدخول إلى الكنيسة إن لم يعترف بخطئه علنا. . . تردد الإمبراطور لكنه في الأخير إعترف بذنبه علنا. . . وكان الخطاب الذي وجهه له:يا أيها الإمبراطور. . . عليك أن تصغي إليّ في قصرك طائعا، حتى لا تسمع**

لقولي في الكنيسة كارها. . . ليست إلا بشرا عليك الضلالة فإمحها، فالخطيئة لا تمحوها إلا الدموع والتوبة". (زموري، خ، 2018، ص257). ويقصد بإحتفال القداس هو"العشاء الرباني" الذي يعدُّ رمز للعشاء الأخير للمسيح مع الحواريين إذا أكلوا الخبز والخمر، فيعتقد المسيحيون بأنهم إذا أكلوا الخبز وشربوا الخمر فإن المسيح سيحل في أجسادهم.

➢ **القديس أوغسطين (SAINT AUGASTIN):**

وهو"ابن الدموع" الذي انغمس في ملذات الحياة ثم انقلبت حياته رأسا على عقب، إذ صار قديسا ومن آباء الكنيسة فقد ولد في:"**طاجست في منتصف القرن 4م بالجزائر، ودرس بمدرسة مدينته أولا ثم إنتقل إلى. . . قرطاجة التي تعلم فيها الأدب والخطابة، وكان أبوه رجلا وثنيا وأمه قديسة مسيحية"**. (عويضة، ك، م، م. 1993. ص29). إن"طاغست" يقصد بها "سوق أهراس"حاليا. وقد عرف حياة اللهو والمجون سنين طويلة فمن شدة ما بكت عليه أمه"القديسة مونيكا" سمي ب"ابن الدموع"، كما أنه قد:"**عاش حياة زوجية لا شرعية مدة طويلة أنجب خلالها ابنا. . . عُمِّد في الثالثة والثلاثين من عمره في سنة 387م، على يد القديس أمبروز"**. (زيعور، ع، 1983، ص100، 101). وقد سمى ابنه"أديوتاسيوس"، وصار يدعوه ب"إبن خطيئتي". لقد انضم في البدء للمانوية والني تعود إلى:"**حوالي 240م، بإقليم بابل، وسُميت بالمانوية نسبة لمؤسسها ماني الذي أطلق على نفسه إسم خاتم الأنبياء ورسول الجيل الآخر. مزجت المانوية بين المسحية والبوذية. . . وإعتبرت أحدث عهدا من الزرادشتية والبوذية والمسيحية"**. (زموري، خ، 2018، ص80). وتعتقد المانوية بوجود عنصرين أزليان في العالم هما الخير والشّر أزليان في صراع أزلي أبدي بين النور والظلمات، الطيّب والشرير، الصالح والطالح، المحبة والكره. . . إلخ. وبعد ذهابه إلى "ميلانو"استمع لخطب "القديس أمبروز" فتأثر وبحث في اللاهوت المسيحي وتفحص بدقة الكتاب المقدس ثم اعتنق المسيحية.

تعتبر فلسفة القديس أوغسطين:"**قمة الفلسفة المسيحية في العصر الكنسي"**. (حنفي، ح، ح، 1978، ص3). فقد دافع أوغسطين عن العقيدة المسيحية بشراسة ضد الوثنيين خاصة. كما نجده قد مدّ الكنيسة بالأسس النظرية للحفاظ على سلطتها. إذ نجده قد أكد بأن الدولة :"**لا تستطيع أن تكون جزء من مدينة الله إلا إذا خضعت للكنيسة في كل الأمور الدينية"**. (السلماني، أ، ح، (د. ت)، ص258). كما أنه يرى بوجود مدينتين هما:"**المدينة الأرضية. .**

. والمدينة السماوية. . . وبينهما منذ البداية حرب هائلة. . . ولن تزال هذه الحرب مستعرة إلى نهاية العالم، حتى يفصل بينهما المسيح في آخر الأزمان". (كرم، ي، 2012، ص48). وإن كلا المدينتين لا يمكننا الحكم على الدين يكونون من أهاليها لأن هذا من علم الرب وحده. كل الفرد يختار بإرادته في أي مدينة يكون. أما الدولة فهي:**"لا تنشأ عن عقد. . . إنما تنشأ عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية"**(بدوي، ع. 199. ص38).

وبذلك فقد إعتبر الكنيسة المسحية هي السلطة الروحية الوحيدة التي يمكنها السير بالمدينة الإلهية والشيطانية للسلام والفضيلة، إلى أن يتم الفصل بينهما في نهاية التاريخ بحيث:**"تتعايش المملكتان معا في التاريخ الفعلي، حتى يتسنى لمدينة الله في نهاية الزمان أن تخرج منتصرة".** (كونزمان، ب، وآخرون، 2007، ص71).

➢ القديس جريجوري(SAINT GRÈGORIE) :

يعتبر "القديس جريجوري"من أهم الباباوات المسيحيون، سعى لحماية العقيدة المسيحية من الهجومات التي تُكال لها. ولد في:**"روما حوالي 540م من أسرة غنية. . . نصب عمدة على مدينة روما سنة 572م، لكن الدين ناداه. . . وحول قصره بيتا للرهبان".** (راسل، ب، 2010، (B)، ص120). بحيث نجد أن "جريجوري" يحترم سلطة الإمبراطور إذ أنه:**"يحتج فعلا على أوامر الإمبراطور إذا كانت في نظره مناقضة للقانون، ولكنه مع ذلك لا يرفض طاعته، إن الإمبراطور يملك سلطة الأمر بما يشاء، . . . فمردُ تصرفات الحاكم آخر لأمر إذن ليس إلا إلى العلاقة بين الله وبين ضمير الحاكم".** (سباين، ج. (د. ت). ص93، 94) . ولعل هذا بسبب إتباعه لمقولة"ما لقيصر لقيصر وما لله لله" . أو لتجنب الإحتكاك بسلطة الإمبراطور.

وخلاصة القول، لقد سادت العبادة الوثنية وتعددت في كل العصور والحضارات القديمة، حتى أنه تمَّ تأليه الحكام والملوك بإعتبارهم من أصلاب الآلهة، وساد هذا لوضع حتى للحقبة الرومانية التي تأثرت بالحضارات السابقة لها. وكان ظهور المسيحية كدين جديد يدعو إخلاص العبادة لرب واحد، وينادي بالخلاص وحياة أبدية تدعى الآخرة كان غريبا على الوثنيين الرومانيين، فتصّدوا لها بالعنف والرفض. وما إنحاز لها إلا الفقراء والمظلومين لمساندة الكنيسة لهم، ولدعوة المسيحية إلى قيم الخير والعدل والفضائل التي لم يجدها هؤلاء المستضعفين في

الدين الوثني. لكن مع إعتناق "الإمبراطور قسطنطين" للمسيحية وتحول الدولة الرومانية رسميا إلى المسيحية، وبالتالي فإن هؤلاء القساوسة والكنسيين كان هدفهم الدفاع عن الديانة المسيحية من الإضطهاد الذي تعرضت له خاصة من طرف اليهود. وقد إجتمعوا على فكرة أن السلطة نوعان، نوع يسعى للأمور الدنيوية وهي سائرة نحو الزوال وهي سلطة الإمبراطور. والنوع الآخر هو السلطة الدينية الروحانية وتسعى لأمور الدين. ولبلوغ السعادة الدائمة وهي سلطة الكنيسة. والتّي صارت مع مرور الزمن هي الآمرة والناهية.

الفصل الثاني

الدولة عند أوغسطين

المبحث الأول: دراسة تحليلية لمدينة الإله عند أوغسطين

1/ الجذور الفكرية لمدينة الإله.

2/ مدينة الإله.

3/ مدينة الشيطان.

4 / نظام الحكم في مدينة الإله.

5/ الغاية من مدينة الإله.

6/ الدولة والقانون بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية.

- الدولة.
- القانون.

المبحث الثاني: دراسة نقدية لنظرية الدولة عند أوغسطين.

1/ نقد نظرية الدولة عند أوغسطين.

2/ الثيوقراطية المسيحية ما بعد أوغسطين للمدينة.

خلاصة.

المبحث الأول

دراسة تحليلية لمدينة الإله عند أوغسطين.

****

يعد القديس أوغسطين من أبرز آباء الكنيسة، وأعظم مفكري الفكر اللاهوتي والسياسي المسيحي. فقد عايش مرحلتين مختلفتين في حياته لأقصى حدودهما. فمن حياة المتعة والفجور والانغماس في اللذات. إذ قال عن واصفا حالته هذه: "**اتقدت ذات يوم في مراهقتي شغفا بالملاذ الجهنمية وتجرأت على أن أغرق في غرامات متنوعة قاتمة. . . فكان يغوص بها في هاوية الرذائل، أحببت هلاكي، وأحببت انحطاطي. . . أنا الروح الدنسة التي اشترت هلاكها بالتفريط في سندك القوي** "(أوغسطين، أ، 2012، ص، 53) . فإذا به ينسلخ من حياة الفسق إلى حياة التقوى والزهد إذ وهب نفسه لخدمة الرب وللدين المسيحي. إذ أصبح يبتهل للرب ويناجيه نادما على ما أسرف في حياته من ابتعاد وحياد عن طريق الرب . إذ نجده يقول:" **لك الثناء، ولك العزة، يا منبع الشفقات، كنت أنا أزداد شقاء، وأنت تزداد مني قربا. كانت يمناك قريبة مني، مستعدة لانتشالي من الوحل وغسلي منه، وكنت أجهل ذلك. لم يكن يثنيني عن الغرق في لجج اللّذات الجنسية إلا الخوف من الموت ومن يوم حسابك الآتي. . . فأنت ضيائي ومسرتي، وأنت حبي ومرادي، حتى أني أخجل من نفسي، وأعرض عنها وأختارك، ولن أسر بنفسي أو بك، إلا بواسطتك**". (أوغسطين، أ، 2012، ص، 185، 297). وبهذا نجده قد أسس لما يسمى ب"الكوجيطو الأوغسطيني" :"أنا أخطئ، إذا أنا موجود"، بغية أن يخرج نفسه والإنسانية من ظلمات الشر إلى نور الرب، وهذا في قوله:" **ابتعد عن الإثم، والله لن يحاسبك على ما فات بل يحرق صكوك خطاياك ويفتح لك حسابا جديدا. . . ربّ، دنس أنا، ولهذا أقر بخطاياي لكي أصير نقيا، أنا أخطئ، فاني أقر بخطاياي لكي أصير بارّا**". (أوغسطين، أ، 2004، ص183، 193). وبالتالي فإننا نجد أسقف هيبونة (عنابة حاليا)، قد وهب. بقية حياته للدفاع عن العقيدة المسيحية بدحضه لمزاعم المذاهب المضللة الواهية. بحيث نجده في مؤلفه"الإعترافات"، وهو يعتبر:"**فتحا في الأدب الإنساني، والوجودي أيضا**". (زيعور، ع، 1983، ص108). إذ نجده ينقلب على "المانوية" التي تبناها قبل توبته بقوله:"**أصبحت فريسة لأناس وقعوا في قبضة الكبر،**

غاية في الجسدية والثرثرة، أفواههم شرك شيطاني". (أوغسطين، أ، 2012، ص77). بمعنى أنهم يتسترون زيفا على شرور نواياهم، خاضعين للملذات البدنية.

وأهم أعماله الدفاعية نجد مؤلفه الشهير الذي تمتع بمواضيع سياسية، دينية، تاريخية، ألا وهو"مدينة الإله":"**DE CIVITATE DEI التي بدأ تصنيفها عام 412 بعد عامين من نهب روما، وأتمها عام426**". (طوهري، ت، 2020، ص11). ويضم اثنان وعشرون كتابا. جمع فيه بين السياسة والتاريخ واللاهوت المسيحي بشكل متوافق. ردّ فيها على الوثنيين ودحض فيها أفكار المانوية، وكل من هاجم الديانة المسيحية.

1/ الجذور الفكرية لمدينة الإله:

وهنا نتساءل من أين استوحى "أوغسطين" فكرة "مدينة الإله"؟

فقد تعددت آراء المؤرخين والمهتمين بالتراث المسيحي حول المرجعية التي استقى منها "أوغسطين" فكرة "مدينة الإله"، فقد أرجع البعض منهم هذه النظرية إلى:" **التراث اليوناني الروماني سواء في جانبه السياسي أم الفلسفي، بينما أرجعها البعض الآخر إلى المانوية، وأرجعها فريق ثالث أكثر عددا إلى التراث اليهودي – المسيحي، فإننا نزعم ان ثمة مصدرا رابعا هو اللحظة التاريخية التي عاشها أوغسطين كمسيحي والتي فرضت عليه بلورة نظريته في المدينتين دفاعا عن المسيحية، . . . وتحديدا لعلاقتها بالسلطة"**. (الخضيري، م، ز، 1997، ص107). لأن فطرة المدينة قد شاعت عند اليونان والرومان وخاصة فكرة "دولة المدينة" كما ذكرنا سابقا، وحلم الرومان في تحقيق "مدينة عالمية "أو ما تسمى ب"الإمبراطورية". كذلك قد يكون استوحى هذا التقسيم من "أفلاطون" الذي قسم العالم إلى عالمين: العالم المثالي، وهو عالم يتميز بكل القيم الخيرة المطلقة، وعالم السعادة المطلقة. والعالم الحسي، وهو عالم يتميز بالمادة وعالم الأوهام المضللة للحقيقة التي توصلنا للسعادة الحقّة. إلا أنه يلاحظ بأن "أفلاطون" قد جعل من "العالم المثالي" عالم مفارق ل"العالم المادي"، في حين أن"أوغسطين" قد جعل من المدينتين متمازجتين تعيشان مع بعضهما في صراع، والرب هو الذي يمكنه التمييز بينهما، بحيث أنه من يكون عدوا للمسيحية قد يصير مواطنا لها وللرب، في حين بالإمكان أن يصبح من كان مواليا ومواطنا للمسيحية عدوّا لها. إلى أن ينتهي التاريخ فيفصل بين الخيّرين المؤمنين، والأشرار الجاحدين للرب. أما بالنسبة المانوية فيمكن ذلك بشكل كبير لأنه كان مواليا لها متأثرا بها، فهي تقوم على فكرة "الخير والشر" أو "النور والظلمات" السرمديان المتصارعان للأبد، فجعل من مدينة الإله

مدينة النور، ومن مدينة الأرض مدينة الظلمات، لكن نجد كذلك اختلافا بينهما إذ أن :"**تذهب المانوية إلى أن إحدى المدينتين شريرة بطبيعتها، ويؤكد أوغسطين أن المدينتين خيرتان في الأصل. . . وإذا كانت مدينة الأرض شريرة فهي لفساد طرأ على إرادتها الخيرة**". (الخضيري، م، ز، 1997، ص111). وهذا لأن الرب هو من خلق، والخير طبيعته فلا شك أن كل ما خلقه خيّر. في حين يسرد بأنه قد استلهم فكرة "مدينة الله" :"**من آية في سفر المزامير:قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله**". (زموري، خ، 2018، ص100). أي من الكتاب المقدس.

ونتساءل من جديد، ما الدافع الذي جعله يكتب مؤلفه "مدينة الإله"؟

في هذا تجتمع الآراء أنه بعد اجتياح القوط لروما عام 410م، وتعرضها للانحلال والزوال، تعرض المسيحيين والديانة المسيحية لاضطهاد شديد من طرف الوثنيين الرومان، بزعمهم أن ما تعرضت له روما هو بسبب هذا الدين الجديد الذي يدعو" للتوحيد" وعبادة رب واحد، بدل آلهة الرومان المتعددة التي يختص كل منها بحماية أراضي روما وشعبها. فجاء مبطلا لمزاعمهم الباطلة مدافعا عن عقيدته: "**تعهدت الدفاع عنها من أناس يفضلون آلهتهم على مؤسسها الإلهي**". (أوغسطين، أ، 2006، ص9). وأن الكنيسة والديانة المسيحية لم تدمر روما بل قامت بحمايتها وتقديم المساعدة حينما عجزت الآلهة الرومانية عن ذلك إذ :"**أولئك الرومانيين الذين نجوا من ظلم البرابرة باسم المسيح. . . وكنائس الرسل التي فتحت أبوابها أمام كل طارئ سواء كان مؤمنا أم لا**". (أوغسطين، أ، 2006، ص10). وبالتالي فما كانت نجاة حياة أغلبية الرومان إلا بفضل إمداد الكنيسة يد العون لهم وإيوائها لهم في دورها التي يرعاها الرب، إذ لم يقربها البرابرة بسوء وأذى. ثم نجده يعود ويسألهم عن دراسة تاريخهم وعن الانهزامات والحروب التي تعرضوا لها قبل مجيء المسيحية، ويكشف سذاجة آلهتهم وباطلها قائلا:"**افتحوا تواريخ عدة حروب حدثت قبل تأسيس روما، أو بعد ولادتها وتوطيدها إمبراطوريتها. . . وقدموا لنا غرباء وأعداء سيطروا على مدينة وحافظوا على اللاجئين إلى هياكل آلهتهم. . . لم يكن التماثيل حارسا للناس، بل هم الحارثون لها. . . وهل من الفطنة تسليم روما إلى أولئك الآلهة المنهزمين ليؤمنوا لها النصر؟**". (أوغسطين، أ، 2006، ص11، 13). فالآلهة الرومانية الوثنية عاجزة عن تقديم الحماية لشعبها وتابعيها.

كما أن الكنيسة قد :"**ضمت بداخلها أفرادا يتحلون بالإخلاص والخيرية المتفانيين، . . . وضمّت كذلك أناسا كان لاعتناقهم المسيحية على الأقل في البدء دافع دنيوي جدا**". (هنري،

ت، 2016، ص112). خاصة معا في المساعدات التي كانت تقدمها الكنيسة، أو هروبا من بطش البرابرة. الذين احترموا قداسة الكنائس فلم يقربوها.

وينبغي الإشارة إلى أن المسيحية لم تلق رواجا كما لقيته الديانات الأخرى إذ أنه:"**بالرغم من القوة الروحية التي كانت تؤكد مستقبل الإيمان المسيحي، إلا أن انتصار المسيحية جاء متأخرا جدا، وكان على المسيحية أن تقضي طيلة ثلاث قرون كاملة تبحث عن مكان لها بين الأديان الأخرى. . . حتى استطاعت أن تحقق نصرا جزئيا في مطلع القرن الرابع**". (رأفت، ع، ح، 2000، ص26). حيث أنه عندما رفض المسيحيون الولاء وعبادة الإمبراطور اشتدت عليهم الضغوطات سواء من الوثنيين أو حتى من قبل اليهود. بالرغم من أن المسيحية قد: "**نشأت في أحضان اليهودية، وتعتبر امتدادا لها، وقد ورثت من مميزاتها وكانت الديانة اليهودية تختلف عن جميع الديانات المعاصرة لها في كونها شديدة التعصب ضد غيرها. . . كانت لا ترحب باعتناق غير اليهود لها، باعتبار اليهودية ميزة لا يستحق الانتماء إليها سوى شعب الله**". (عويضة، ك، م، 1993، ص17). فاليهودية ترى أنها شعب الله المختار وأنها سلالة مقدسة، لذلك لم تسعى للاحتكاك بالديانات الأخرى.

إذ يعتبر "أوغسطين" أن ما عانته روما جراء هجومات القوط بأنها:" **ليست لعنة سماوية حلت بالرومان لتقضي على حضارتها الزاهرة، بيد أن أوغسطين يرى العكس تماما، إذ هي عناية إلهية وحكمة ربانية جاءت لتنقذ الرومان من سيطرة وحاكمية الشيطان**". (بوعرفة، ع، 2002، ص97). وهذا لأن الكثير من المسيحيين اهتز إيمانهم بالرب(يسوع)، وساد في قلوبهم الشك متسائلين عن عدم قدرة الرب المسيح على إنقاذه للحضارة الرومانية وشعبها من براثن البرابرة، فمنهم من اعتقد بغضب الرب عليهم وسخطه عليهم، ومنهم من شك في وجوده ووحدانيته فعادوا لعبادة الآلهة الوثنية، وبذلك تدخل "أوغسطين" لحماية عقيدة الرب الذي نذر له حياته حبا فيه، إذ يرد عليهم قائلا:"**عليهم أن يتهموا آلهتهم بتلك المصائب الكثيرة بدلا من أن ينكروا على المسيح ما أفاض عليهم من خيرات**". (أوغسطين، أ، 2006، ص162). ، كما أن روما قامت بالكثير من الانتهاكات في توسعاتها من قتل الضعفاء واغتصاب النساء وحتى ممارسة الرذائل لإرضاء شهواتهم.

وبالتالي فإن الفوضى التي عاشتها روما وحالة اللاستقرار دفعت به إلى التصدي لأعداء المسيحية، إذ أنه:"**لا يمكن اعتبار "مدينة الله" مجرد مشروع سياسي حالم، بل هي تعبير عن**

معالم أحلام اليقظة التي تسيطر على الذوات المؤمنة، بل كل إنسان قهره الواقع ليرسم لنفسه مدينة مثالية يحكمها الأخيار، ويسودها الخير والفضيلة". (بوعرفة، ع، 2002، ص97).

يشير"أوغسطين" في مؤلفه "مدينة الإله" إلى فكرة الخطيئة وجعلها أساسا لمدينة الإله، حيث ورد في:" **الكتاب المقدس في عهده القديم. . أن الخطيئة الأولى شطرت الإنسانية إلى فريقين، الأول هو الذي يرأسه هابيل الذي كان راعيا، وإليه تنتمي مدين الله. . والثاني يرأسه قابيل كان مزارعا وإليه تنتمي مدينة الأرض".** (الخضيري، م، ز، 1997، ص114). أنه منذ ارتكاب آدم الخطيئة وخروجه من الجنة، انقسم العالم والبشر قسمين، "مدينة الله" وتتجلى في آدم، هابيل، نوح، إبراهيم، موسى، وداوود عليهم السلام. في حين تتجلى "مدينة الشيطان" في كل من "قابيل"، وكل الحضارات التي عبدت الأوثان كالآشوريين، البابليين، الإغريق، والرومان.

2/ مدينة الإله :

يرى أوغسطين بأن :"**الإنسان مكون من عنصرين: عنصر الروح وعنصر الجسد لذلك فهو ينتمي إلى وطنين، أولهما الأرض والآخر السماء. وتاريخ البشرية برأيه، هو وليد الصراع بين المجتمع الدنيوي الذي تسيطر عليه قوى الشر الناتجة عن غرائز الإنسان الجسدية. . . والمجتمع الروحاني الذي تسيطر عليه قوى الخير".** (حيدر، م، (د. ت)، ص62). فالمدينة الأرضية من مظاهرها الطمع وحب التملك، في حين أن المدينة السماوية من مظاهرها حب السلام. وما كان انهزام الرومان الا بسبب تعلقهم بما هو دنيوي وحبهم للتملك والطغيان وان غابت الأخلاق فان أعتى الحضارات تنهار. كما يقول المثل "إنما الأمم أخلاق، فان ذهبت أخلاقهم ذهبوا".

إن "مدينة الإله" هي تصور أوغسطيني لملكوت الرب، وهي مدينة إلهية تتوقى كل النفوس لبلوغها، حيث أنها مكان للسعادة الحقيقية التي لا يشوبها ألم أو فناء. حيث أن:" **حبّان بنيا مدينتين: حب الذات حتى احتقار الله بنى المدينة الأرضية، وحب الله حتى احتقار الذات بنى مدينة الله".** (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص211). وهاتين المدينتين لا يقصد بهما "أوغسطين" رقعة جغرافي فيها بناء وعمران، بل يقصد بهما مدينتين تقومان على أساس الحب، والحب نوعان، أولهما: حب الذات لدرجة نسيان الله يصنع "المدينة الأرضية" أو"مملكة الشيطان". والنوع الثاني هو: حب الإله لدرجة احتقار الذات وينبثق منه "مدينة السماوية" أو "مملكة الرب". وهما في

صراع دائم منذ زمن تواجد البشرية، وهما غير منفصلتان عن بعضهما، لكن الرب بقدرته الفصل بين أهل المدينة السماوية وبين أهل المدينة الأرضية.

إذ أن المحبة عند المسيحيين لا يقصد بها المشاعر التي بين البشر، بل هي عين ذات الرب، وصفته، وجوهر الرب وبالتالي إن:"**الله محبة. . . وبثها في القلوب، وهي نعمة النعم، وأساس كل الفضائل، فالمحبة هي الفكرة المركزية في الأخلاق الأوغسطينية، محبة الخير الأسمى، وهي تخلصنا من المخاوف**". (زيعور، ع، 1983، ص158). وبهذا الحب نتجت المدينتين، وكأن الرب خلق كل شيء من المحبة وبالمحبة.

إن"المدينة السماوية":" **مدينة بناها هابيل، ابن مدينة الله**". (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص216). "هابيل" الذي قتله أخاه "قابيل" بسبب الطمع والكبر والحسد. وإن مدينة الإله ينعم مواطنيها بالخلود في النعيم الأبدي، ولا يبلغها الا من تحلى بالخير والعفة وطاعة الرب والقديسين . حيث أن الكنيسة مفوضة لبناء مدينة الإله. وتضم القديسين الطاهرين خدام الرب، كما أنها تقوم على حب الإله واحتقار الحياة وملذاتها. وهي بالتالي تتوسط للعبد عند الرب لينال المغفرة والخلاص.

وإن المدينة الإلهية هي:"**المدينة العلوية أكثر مجدا حيث النصر هو الحق، والكرامة قداسة، والسلام سعادة، والحياة خلود**". (أوغسطين، أ، 2006، ص109). فهي مدينة السعادة الأبدية التي تخلو من التعب والحزن والشقاء، فهي مدين الحب والسلام. إذ أنها:"**مدينة أعفيت من السفر في هذه الحياة الصائرة إلى الموت لتقوم إلى الأبد في السماوات. إنها مدينة الملائكة الذين ما عرفوا الخيانة قطّ. ولن يخونوا إلى الأبد صداقة الله، إنهم الملائكة الأمناء الذين ميّزهم الله**". (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص48). فهي تضع رجاءها في الرب وبذلك فإن مواطنيها :"**يتساوون مع ملائكة الله في الخلود، بل في الكمال الذي يستطيعون بلوغه**"(". (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص272). فيتميزون بروح الحكمة واليقين الإيمان وصفاء إرادتهم الخيّرة. إذ ذكر "أوغسطين" في خواطره :"**أبدأ حياة باطنية وأميت أعضائي على هذه الأرض**". (أوغسطين، أ، 2004، ص3). فالمدينة السماوية ترجو الأبديات لا الزمنيات .

إنها مدينة يعيش مواطنيها:""**بحسب الروح، وليس بحسب الجسد. بحسب الله وليس بحسب الإنسان**". (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص178). أي أن أهالي وأصحاب المدينة السماوية لا

تغريهم اللذات الجسدية، ولا خيرات الأرض، بل يعيشون بحسب الرب وحبا في الرب، ابتغاء الخلود فملكوته الأبدي.

ويقول:"**اختر الحياة الأخرى وأحب الله، واحتقر الزمنيات، وأشح بوجهك عن خيور الأرض طالما أنت مسافر عليها، ولن تبقى فيها للأبد**". (أوغسطين، أ، 2004، ص20). إذ به يوصي أصحاب مدينة الرب بأن يزهدوا عن هذه الحياة التي هي دار فانية، وعن كل ما هو من خيراتها، لينالوا الخلود في داره الخلود الأبدية. لأن من يتعلق برغباته الآنية والجسدية فإنه لن يسلم من شرور مدينة الأرض . ويفقد مرشده الروحي.

ولإدراك ملكوت الرب الحقيقي، فإن:"**مدينة الله السافرة فوق هذه الأرض قد جنّدت الكثير من الشعوب والأمم فما كان لها أن تحارب من أجل سلامها الزمني بل من أجل الخلاص الأبدي احتقرت كل مقاومة، أبناؤها يوثقون ويسجنون ويجلدون ويعذبون ويحرقون ويمزقون. . . إنهم لا يصدقون أنهم يحاربون في سبيل الخلاص إن يحتقروا خلاصهم حبّا بالمخلص**". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص338). فهم يصبرون على الأذى الدنيوي لأن الصبر فضيلة لامتحان قلوبهم، وهم قادرون على ذلك لأنهم يدركون أنه بموت أجسادهم فإن أرواحهم ستمتع وتخلد مع ملائكة الرب والقديسين، فهي مستقرهم والوعد الذي وعدهم الرب به. والموت بالنسبة نعمة تتحقق فيها عهود الرب التي تتمثل في ضمهم لملكوته مع الملائكة الصالحين. في سعادة أبدية .

إذ أن المدينة السماوية:" **تفضل الحرب مع المدينة الأرضية حتى تتفادى ما حدث للإمبراطورية الرومانية، وتعمل جاهد للصمود ضد الشرور فريثما يحّل المخلص ويبّث العدالة نشر التسامح، وتصبح كل القيم عذراء لم تمسسها دنس الشهوات المادية، ويصبح رمز هذه المدينة أورشليم الخالدة الأبدية. والتي خلصها من الشرور هو الإله**". (عفيان، م، (د. ت)، ص101). هذا لأن الرومان قد انغمسوا في الشهوات التي زينتها لهم أنفسهم والشياطين، فأصبح مبتغاهم الوحيد السلطة والتملك و، فسقطوا في الرذائل والشرور والمعاصي. وأن الرب هو صانع التاريخ البشري الذي نتج عن الخطيئة الأولى، ففدى الرب نفسه بالصلب مخلصا البشرية من آثام الخطيئة، ثم سيأتي الرب مرة أخرى فينتهي التاريخ بسعادة أهل مدينة الإله، وتعاسة وشقاء مدينة الشيطان وأهاليها.

وبالتالي فإن المؤسس الأول للمدينة السماوية هو "يسوع المسيح"، وتتمثل في:" **أورشليم الجديدة تضع المسيح الإله الذي بناها بمثابة أساس لإيمانها. . . وهذه أحبّت يسوع، إيمانا منها لأنه**

إله. . . أُبلغت مسبقا بإيمانها لكي تحبّ بإخلاص. . . وهي إلهية وجديرة بأن تُصدق". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص336. 33،). وهنا نلاحظ اعتبار"أوغسطين" لليهود مدينة سماوية، وتعتبر"أورشليم" (القدس) وتعني كذلك" رؤية السلام". مملكة الرب التي ستتجسد فيها نهاية التاريخ. إذن إن محبة الله هي التي تصنع أورشليم.

يشير "أوغسطين"كذلك إلى تقسيم آخر ألا وهو أن الملائكة صنفان:صنف الملائكة القديسين الذين أطاعوا الرب ولم يختاروا الشر، بل قهروه حبّا للرب، وصنف الملائكة الأشرار الذين يتزعمه "إبليس" وهم قد اختاروا الشر بإرادتهم. وهذا يدل على أن مدينة الإله سكانها الأوائل هم:**"الملائكة القديسين الذين أحبّوا الرب أكثر من حبهم لذواتهم ولم يكن الكب جزءا منهم، فكانوا أول سكانها ثم يليه البشر. . . مدينة تقدّم لنا مواطنين موحدين بالمحبة، يتبادلون الخدمات، حكّاما مجلين ومحكومين مطيعين. . . في قلب المدينة الإلهية تبقى التقوى حكمة الإنسان الوحيدة، وأساس العبادة الشرعية للإله الحق"**. (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص212). وبالتالي فإن مدينة الإله تضم الملائكة القديسين الخيّرين والبشر القديسين الصالحين. في ملكوت الرب في سعادة أبدية. وسبب هذا الإنقسام هو الخطيئة. إذ :**"لولا الخطيئة لإزدان العالم وامتلأ بالطبع الصالح، ومع أن الخطيئة دخلت العالم لكنها لم تخضع العالم إذ أن القسم الأكبر من الأرواح السماوية حافظ على نظامه الطبيعي"**. (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص212). والقسم الباقي اختاروا الشر بإرادتهم فالرب لم يخلق إلا الخير.

وبذلك نجد أن المسيحي يكون أكثر:**"مراقبا ومخلصا وأمين لقوانين المدينة، لأنه لا يعتبرها غاية، بل يتوافق معها لغايات أعلى من تلك الموجودة في المدينة، فيمارس المسيحيون الفضائل المدنية لصالح المدينة الأرضية لكنهم يطمحون للمدينة الأرضية"**. (لانشل، س، 1999، ص554). وهذا إشارة إلى أن المسيحيين يسعون إلى تحقيق السلام الأرضي كذلك ويطيعون السلطة الزمنية والتي هي سلطة الحاكم الأرضي أو الإمبراطور وتخضع لقوانينه لأن طاعة الحاكم من طاعة الرب. فهو مفوض بالحكم بمشيئة ربانية. مواطني مدينة الرب السماوية:**"سعداء، ثابتون في أبديتهم وفي سعادتهم الحقيقية، إنه لمجتمع مقدس يطالب بصفاء الرب الذين قال عنهم: سوف يكونون مساوين لملائكة الله"**. (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص212) .

وإن المدينة السماوية بالرغم من الإضطهادات التي تعرضت لها إلا أنها احتفظت على عقيدتها وبإخلاص، إذ يقول "أوغسطين":**المدينة السماوية لا تعترف إلا بالواحد. . . وثبتت المدينة السماوية ضد المضطهدين. . . فضلا عن النعمة التي تعضدها وتصد عنها عنف الأعداء . . . إن خير مدينة الله أسمى لكونه سلاما أبديا وكاملا، لا ذلك السلام الذي يعرفه النّاس في مرورهم من الولادة إلى الموت**". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص145، 149). فالمدينة السماوية تخلص عبادتها لرب واحد "يسوع المسيح". وتؤمن بعنايته الإلهية، ولا تعصي أوامر الكنيسة والقديسين هم خدام الرب، فهي تسعى لنشر المحبة والخير والسلام مع الآخرين فلا تقصي أحدا لأنه قد يصبح من كان مؤمنا ومواليا للرب عدوا للمسيح، وقد يصبح الشرير عبدا خيّرا مواليا لسلطة الكنيسة ولدين الرب. فبينما كانت تخص"بني إسرائيل" فقط قد صارت بفضل الرب تخص البشرية جمعاء وكل من صفى قلبه وتطهر من عفن الحياة الزمنية.

وبالتالي فإن مدينة الإله هي المدينة الإلهية السماوية الأبدية الخالدة في ملكوت الرب، الذي تتحقق فيه السعادة والحقيقة المثلى، من خلال الكنيسة وما تزخر به من هبة ونعم روحية، إذ ترجو الخلاص فهي وسيلة للشفاعة عند الرب، كما أنها المدينة التي تخضع للقانون الطبيعي الإلهي قانون الرب، وتخضع للقانون الوضعي الزمني كطاعة للرب وإيمانا منها بالعناية الإلهية التي تسود نظام الكون. وستبقى في صراع دائم مع المدينة الأرضية الزمنية بالرغم من أنهما تظهران متمازجتان إلا أن الرب يفصل بينهما يوم القيامة. ويقال لمدينة الرب:"**الآن وقد أعتقتم من الخطيئة واستعبدتم لله فإن لكم ثمركم للقداسة والعاقبة في الحياة الأبدية**". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص145، 149).

3/ مدينة الشيطان :

مدينة الشيطان هي التصور المقابل لمدينة الإله الروحانية. وهي تنسب إلى:"**قابيين ابن مدينة البشر**". (أوغسطين، أ، 2007، (A)، ص212). إذ أنه أول أبناء آدم عليه السلام وقد سولت له نفسه قتل أخيه فكان من الظالمين الطاغيين، وهو مؤسس مدينة الشيطان من بني البشر لأنه سبق وقلنا أن الملائكة قد سبقوا البشر في بناء المدينة السماوية والمدينة الأرضية. وما يكون القتل والبطش والخطيئة إلا عن حسد وكبرياء. وهذا يعارض الصالحين. فهي:"**المجتمع الدنيوي الذي تسيطر عليه قوى الشر الناتجة عن غرائز الإنسان الجسدية**"". (حيدر، م، (د. ت)،

ص62). التي تتصارع من أجل تحقيق ملذات الحياة وهؤلاء ما كانوا أشرارا بطبعتهم بل هم اختاروا الشر وإتباع إبلي من إرادتهم.

إن مدينة الشيطان هي المدينة التي حلّ فيها آدم بعد ارتكابه للخطيئة، وتتميز بعبدة الأوثان والابتعاد عن الإله الواحد، إذ أن :"**مدينة الأرض سّيدة الشعوب المستعبدة التّي سوف تكون بدورها أسيرة شهوة التسلط**". (أوغسطين، أ، 2006، ص9). وتمتاز أيضا بحبها لكل ما هو دنيوي من سلطة وأموال ونفوذ. وهي مدينة تفنى يوم يأتي "الخلاص"، ويحكمها الشياطين وتبعتهم من البشر والحكام الوثنيين. وهي مدينة الشر والظلم، تسمى بمملكة الشيطان، إذ أن :"**مواطنو المدينة الأرضية، وقد حصروا اهتمامهم في واجب تأمين الخلاص لوطنهم ولملكه، لا في السماء بل على الأرض، لا في الأبدية بل في هذه الحياة، في سلالات متدافعة، تموت، اليوم أو غدا، لا فرق ماذا أحبّوا؟ لقد أحبّوا المجد الذي يعدهم بحياة جديدة في مدائح المعجبين بهم. . . إنّ الله لم يقبلهم مع ملائكته القديسين لكي يشتركوا في الحياة الأبدية في مدينته السماوية**". (أوغسطين، أ، 2006، ص249). أي أن أصحاب مدينة الأرض قد أعمتهم الشهوات من شرف، قوة، توسعات، حروب، وحب للمجد والشهرة فصار الشيطان قرينهم لتخليهم عن كل ما هو روحي، إذ يسعون لتمجيد أسماءهم وجعلها خالدة تتوارثها الأجيال بدل أن يكونوا برفقة القديسين والملائكة في مملكة الرب. كما أن مملكة الشيطان أو:"**المدينة العدوة، مجتمع الأثمة الذين يعيشون بحسب الإنسان، وليس بحسب الله، يعيشون في عبادة آلهة الكذب، يحتقرون الله، إله الحقيقة، ويجاهرون بتعليم النّاس والشياطين. . . تلك المدينة تسلم إلى عذابات الشهوات العاطلة وأدواتها. . . فهؤلاء النّاس قد فقدوا إنسانيتهم والطمأنينة الحقة**". (أوغسطين، أ، 2007، (A)، ص178، 179). إذ أن جلّ اهتماماتهم تصب في الأرض التي لن تكون أبدية، ويخضعون للآلهة الوثنية، فيتركون في عذاب الحياة الأرضية ثم يخلدون في الجحيم مع الشياطين.

إن مدينة الشيطان قد صنعت لنفسها آلهة زائفة تعبدها وتقدم لها القرابين وتمارس الفجور لإرضائها، ونفرت من عبادة الإله الواحد، والشر فيها ليس أصلها بل هو إرادتها. فالرب لم يخلق إلا الخير فهي :" **موطن السلطات السياسية. وتساند الظلم، كما أنها في حرب دائم مع مدينة الله. . . فهي مدينة الشر وموطن الأشرار والحب الحسي الشهواني غير النّقي. . . وتجتمع**

تحت قيادة الملائكة الأشرار وستدوم في النار الأبدية إلى الأبد". (أميرة، ت، م، ن، (د. ت)، ص344). فهي مدينة الشعوب الوثنية التي تعيش في الزيف والضلال كما ذكرنا سابقا.

وإن مدينة الشيطان أو المدينة الأرضية:" **التي لن تكون أبدية، فلها هاهنا خيرها الذي حصلت عليه، . . . وبما أنه خير لا يمكنه أن يمنح مالكيه ومحبيه ملكية لا حدّ لها. . . ولا تزال أسيرة رذائلها. . . وترغب في سلام أرضي وتحارب في سبيله، . . . ويتوقون إلى ذلك السلام، بواسطة الحروب الدموية".** (أوغسطين، أ، 2007، (A)، ص220، 221). وهذا يدل على أن أهل مدينة الأرض ينساقون وراء خيرات ومتع الأرض. والانتصارات فلا يعتقدون بوجود عالم سماوي فيه نعيم للأخيار الصالحين. وبذلك فهم خالدون في الشقاء والتعاسة الآلام الأرضية الآنية ناهيك عن خلودهم مع إبليس في العذاب الذي لا ينتهي حين ينته التاريخ. لاحتقارهم الذات الإلهية والجانب الروحي.

وبالتالي فإن روما مدينة أرضية لذلك كان حتما عليها الإنهيار، إذ أن التاريخ الروماني ذكر أن:"**رومولوس قتل أخيه روموس".** (أوغسطين، أ، 2007، (A)، ص221). وهذا دليل على أن روما تصارعت منذ ولادتها على حب السلطة والحقد على أن يتقاسم أحد خيرات الأرض مع آخر. إشباعا لرغباتها الآثمة. ولا محبة في قلوبهم لله ولا لما هو روحي. وبالتالي فإن "مدينة الشيطان" تضع كل رجاءها في العالم والسلطة لا في الرب ونعمه الروحية. إذ يخاطبهم "أوغسطين" قائلا:"**إنها تضرم أشواقكم متى طلبتموها، وتفسدكم متى نلتموها، وتعذبكم متى فقدتموها، أو ليست هي الخيور عينها التي أضرمت رغباتكم، حتى إذا حصلتم عليها حطّت من كرامتكم، وإذا أردتم الاحتفاظ بها تلاشت بين أيديكم".** (أوغسطين، أ، 2004، ص10). إذ أن الرجاءات الزمنية التي يرجونها لن تعود عليهم إلا بالشقاء والهوان فلا يبقى لهم عزم ولا حضارة لأنهم لم يسلكوا طريق الرب. لا تعرف العدالة ولا تسعى لتحقيقها إذ أنها مؤسسة على الرغبة في التملك والسيطرة في حين أنها فاشلة في الجانب الإيطيقي(الأخلاقي).

كما أن مدينة الشيطان انبثقت عن:" **حب الذات حتى احتقار الله بنى المدينة الأرضية".** (أوغسطين، أ، 2007 (A)، ص211). و يشير "أوغسطين" إلى أن أول من بنى المدينة الأرضية هم الملائكة الأشرار الذين غلبهم الكبر والحسد، وحبهم لذواتهم بدل حب الرب فوقعوا في الخطيئة. ثم تلتهم خطيئة آدم الذي أنجب "قايين" والذي قلنا أنه مؤسس المدينة الأرضية مملكة الشيطان. وسيكون لمواطنيها:" **الشقاء الأبدي أو كما يقول الكتاب المقدس الموت الثاني. . . وتزداد قسوة**

هذا الموت الثاني لكونه لا ينتهي بالموت". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص166). وهو الخلود في الجحيم الذي أعده الرب لإبليس والملائكة الأشرار والبشر الجاحدين لنعم وملكوت الرب الحقيقي. وهذا لعدم

إيمانهم بوجود عالم سماوي أبدي حقيقي.

وينبغي الإشارة إلى أن المدينة الأرضية تعيش في حالة صراع دائم سواء مع المدينة السماوية، أي بين الخير والشر. أو حتى صراعها مع الأشرار أمثالها من مدينة الأرض. وهذا لتضاربها في الرغبات الزمنية والشهوات الجسدية فهم:" **يهوون الكبرياء والتسلط الزمني بشيء من الوقاحة الفارغة والغرور، والعقول المصابة بالهوى نفسه، الباحثة عن مجدها في استعباد النّاس**". ". (أوغسطين، أ، 2007(c)، ص58، 59).

وإن مدينة الشيطان كذلك هي من صنع وإرادة الإله ولكن:" **دون أن يكون لها نفس الإيمان، لا نفس الأمل، ولا نفس الحب حتى في النهاية، ولكل منهما نهايته الخاصة التي لا نهاية لها**". (لانشل، س، 1999، ص559). إذ أنها تمتزج ظاهريا مع مدين الإله، لكن الرب سيميز بينهما يوم القيامة، فتخلد مدينة الشيطان في العذاب الذي لا نهاية له مع المتكبرين عن عبادة الرب والخضوع للسلطة الأبدية المتمثلة في الكنيسة.

حتى أن تلك السعادة التي يعيشها مواطني مدينة الشيطان ليست سوى سعادة زمنية محدودة تنقلب إلى شقاء عند غياب السبب المؤدي لسعادتها. وهذا يتوافق مع سلطتها الزمنية. إذ أنها:" **لا تعيش بالإيمان، تطمح إلى السلام الأرضي وذلك هو الهدف الذي ترسمه للتوحيد بين السلطة والطاعة لدى المواطنين ليتحقق التلاقي بين الإرادات البشرية فيما يختص بمصالح هذه الحياة البشرية**". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص144). أي سعيها لتحقيق السلام الذي يمكنها من توسيع نفوذها وسلطتها فإما باللّين أو بالتسلط والقوة. فلا يجد المواطنين أنفسهم إلا وهم خاضعين لسلطة الحاكم الأرضي بدل خضوعهم للرب الذي لو أطاعوه لرفعهم إليه بالمحبة والسلام الذي تتسم بهما ذاته الإلهية. حيث إنها:" **لا تعتبر هذا العالم منفى، وتجد فيه راحتها في الامتلاك الهادئ للسعادة الزمنية**". (أوغسطين، أ، 2007(A)، ص252).

4/ نظام الحكم في مدينة الإله :

إن كل سلطة مفوضة من السلطة الإلهية، وما انهيار الأمم إلا بإرادة وسلطة الرب، فلا يهتم"أوغسطين" بنظام حكم معين، :"**لم يقل بتفضيله لشكل معين، إلا أنه شدد على أن علة**

وجود السلطة السياسية هي أن تقيم العدالة. ذلك أنه بدون عدالة ما هو الملك غير لص مغطى بالمجد؟ ما هي المملكة غير كهف للصوص". (زيعور، ع، 1983، ص224). فلا يهم النظام الملكي ولا الأرستقراطي ولا الجمهوري، فهو يشترط أن يكون نظام الحكم قائم على "العدالة" في الحكم . وتحقيق الجانب الروحي. هذا لأن كل الأنظمة الزمنية صائرة إلى الزوال والانحلال ونشوب الفوضى. إلا أنه إن تمسكت الدول وحاكمها بالنظام الكنسي الروحي كون الدولة المسيحية ستجد القوة والاستقرار لأنها تعمل على التحضير للمدينة السماوية والخلاص من مدينة الأرض. لأن:"**شكل نظام الحكم أو الدستور هو أمر دنيوي بحت، وجائز كليا، إنه يتعلق بطبيعة الشعب الذي سيحكم وكذلك بالظروف، فليس فيه شيء ثابت وهو يمكن أن يغير من أجل خير المواطنين. فإذا انفسدت تدريجيا على سبيل المثال ديمقراطية ما**، فلماذا لا ينتزع إنسان معروف بفضيلته من الشعب سلطة أصبح غير جدير بها؟". (الجابري، ح، م، ج، (د. ت)، ص12). وهذا إشارة إلى أن الحكم ينبغي أن يكون بيد من يصلح لا من يفسد .

5/ الغاية من مدينة الإله :

لقد سعى "أوغسطين" إلى غاية من الغايات التي شغلت دراسات وأبحاث الفلاسفة وكل من تدبّر ألا وهي"السعادة"، والتي يعرفها قائلا:"**هي رغبة شرعية في كل كائن. التمتع بلا تشويش بالله ذاته، الخير الثابت، وبعيدا عن كل شك، وعن كل ضلال يغري، لضمان الغبطة الأبدية**".
(أوغسطين، أ،
2007(A)، ص24).

كما يقول محتقرا وساخرا من الوثنية :"**إن كانت السعادة هبة من الله ولم تكن إلاهة فابحثوا إذن عن الله معطيها وتخلوا عن تلك الطغمة السافلة من الآلهة الكاذبة الذين يجذبون إليهم جماهير من البشر. . . ولا يخشون أن يهينوا ربّ بعنادهم لأن من يعبد السعادة ويتخذها إلهة يحتقر الله الذي يهب السعادة**". "(أوغسطين، أ، 2006، ص199، 200) . فقد كان الوثنيون يعبدون آلهة السعادة ولها طقوسها الخاصة، غير مدركين بأن السعادة مصدرها الرب فهي جوهره ونعمته، ومن يتعلق بالسعادة فإنه لا يزيد عن الرب إلا ابتعادا. وبالتالي فلن يزيد إلا شقاء. وأن الرومان لو أنهم:" **عرفوا تلك الآلهة الكذبة أو احتقروها فاكتفوا بالإله الواحد وعبدوه بإيمان صادق وأخلاق عفيفة، لكانت مملكتهم فوق هذه الأرض أكثر سعادة حتى ولو لم يملكوا هذه الأرض لكانوا وصلوا إلى ملكوت الأبد**". ". (أوغسطين، أ، 2006، ص205). أي أن الذين

يسيرون في طريق الرب ويطيعونه فإنهم يحصلون على السعادة في الدنيا وفي الآخرة إذ يخلدون في النعيم الإلهي. أي مملكة الرب السماوية.

ويؤكد "أوغسطين" بأن مصدر السعادة ومنبعها هو الإله، إذ يقول: "**إلهنا يصنع السعادة ويوزعها، الإله الواحد الحقيقي، يهب ممالك الأرض الصالحين والأشرار. . . السعادة يعطيها للصالحين من دون سواهم. يمكن للمرؤوسين. . . كما يمكن الملوك أن يحصلوا عليها. . . ولن يكون امتلاكها كاملا. . . السعادة تقوم على امتلاك كل ما يبتغيه الإنسان، وليست إلاهة، بل عطية إلهية. . . فالله وحده جدير بأن يعبده الإنسان، وهو وحده يستطيع أن يجعله سعيدا**". (أوغسطين، أ، 2006، ص213، 219). بحيث أن الأشرار يعثون فسادا إذا بلغو جزءا من السعادة بالرغم من أنها ليست سعادة حقّيقية، وسرعان ما تزول، في حين أن الصالحين الذين ارتبطوا بالسلطة الروحية فإنهم يدركون جيدا السعادة الحقّيقية. وأن الرب هو مصدرها، والرب يكافئ الأنفس التقية الطاهرة بالسعادة الأبدية، وأما الباقي من مترفات الحياة من قوة وملك وسلطة فإنه يدعه للأشرار ليتمتعوا به مدة زمنية ضئيلة ثم يلبثون في الجحيم. فمن يرد السعادة الحقيقية فليخضع للرب.

وقد ربط "أوغسطين" السعادة بالعدالة، إذ يقول: "**إنما نسمي سعداء، الرؤساء الذين يحكمون بعدل، فلا يتكبرون. . . يكونون سعداء إذا وضعوا قدرتهم في خدمة الجلال الأسمى ليبسطوا ملكه إلى البعيد**". (أوغسطين، أ، 2006، ص267). إذ يرشدنا "أوغسطين إلى طريق السعادة والذي هو أن:" **الحقيقة عينها تعدنا بالسعادة الحقيقية التي لا يعرف البؤس طريقا إليها إذا كان امتلاكها موثوقا به وأبديا، لنتبع الصراط المستقيم الذي هو بالنسبة إلينا المسيح القائد والمخلص. . . إنها السعادة التي لا يجوز أن تنتهي، إنها السعادة الأبدية، إذا كانت غير صائرة إلى الموت**". (أوغسطين، أ، 2007، (A)، ص95، 96).

كما أن الوسيط بين الرب والبشر هو "الكنيسة"، إذ يعتبر الكهنة والقديسين يد الرب في الكون، ويقول أن السعادة الحقيقية تكمن في الخيرات الروحية والأبدية والأسمى والأكثر ضمانة من سواها. وهي سعادة مدينة الإله لا مدينة الشيطان. زفي سعادة الروح حين تطيع الرب وتلبي وصاياه، وتهجر ملذات الحياة الجسدية إلى خيرات روحية عفيفة. إذ يقول:" **أو ليست السعادة مطلب جميع النّاس وما يرغبون في إدراكه والفوز به؟. . . فالسعادة لا ترى بالعينين، لأنها**

ليست بجسم. . . السعادة ذاتها هي الفرح بك ولك وبسببك. . . أنت مصدر السعادة الوحيدة. . . أن السعادة

ليست إلا في الفرح في الحق". (أوغسطين، أ، 2012، ص323، 327). حيث أن الحق ومعرفة الرب تقودنا إلى السعادة الروحية لا السعادة الجسدية لأنها تفنى كونها زمنية وليست أبدية.

كذلك نجده يقول:"**إن أردت أن تحيا سعيدا فزد حبّا لما يعد الله به أكثر مما يعد به العالم. . . وإياك أن تبحث عن السعادة في الأرض**". (أوغسطين، أ، 2004، ص12). فالسعادة لا تكون إلا بالصلاح والعفة، فحتى الأشرار يسعون إلى السعادة لكنهم يجهلون السعادة الحقيقية. فبينما هم يبحثون عنها إذا بهم يسقطون في الشرور والضنك. فلا تكون السعادة إلا تامة مطلقة، إذ يتساءل:"**أين تذهبون؟ تهلكون ولا تدرون، ليس هذا هو الطريق إلى الغاية التي تنشدون، رغبتكم في السعادة أكيدة، إنما الطرق التي تسلكونها محفوفة بالمخاطر**". (أوغسطين، أ، 2004، ص17). فهذه الطرق هي طرق لشهوات الجسدية والأرضية الفانية. إذ أنه من يرد السعادة الأبدية فليمت شهواته وليحيي الجانب الروحي القائم على طاعة الرب.

إن السعادة هي مطلب كلا المدينتين، لكن المدينة السماوية تتبع مسار الرب والولاء الكامل للكنيسة لبلوغ السعادة الأخروية في مملكة الرب. في حين المدينة الأرضية جهل أهلها الطريق إليها وضلوا عن طريق الرب. وتغلبت عليهم إرادة الشر وحب السلطة فخلدوا في الشقاء الدنيوي والخلود الأبدي في الجحيم مع الشيطان والملائكة الأشرار.

يربط"أوغسطين" الحقيقة بالسعادة، فإدراك الحقيقة يكون عبر الإيمان:"آمن كي تعقل". وهذا لأن عرفة الحقيقة التي هي معرفة وجود الرب ومعرفة العالم السماوي فإن هذا يقود الإنسان إلى السعادة من خلال إتباع السلطة الروحية. حيث أن:"**الله عند أوغسطين هو علة الحقائق الأزلية والأبدية وهو علة نظام الكون. . . وهو مصدر الحقيقة ومصدر العدل والخير الأقصى**". (م، ح، م، 2016، ص59، 60) . إذ أن الحقيقة تعد الصالحين بحياة لأبدية سعيدة لا ضجر ولا صراع فيها بل تسودها الطمأنينة. إذ :"**إنها لخير عظيم ولكنها ليست هاهنا، السعادة ليست في هذا العالم فارفع قلبك إلى العلى**". (أوغسطين، أ، 2004، ص12). فالسعادة يهبها الرب وحده فهو مانح السعادة الأبدي للملائكة والبشر الصالحين والقديسين أصحاب مدينة الإله الذين اتحدوا مع الرب وخدموه بطاعة وإجلال.

إن كل الناس يسعون له إذ أن:"**جميع النّاس يريدون أن يكونوا سعداء. . . وليست السعادة شيئا سوى لذة الإيمان بالله**". (جاريث، ب، م، 2013، ص218، 219). فلا يدرك السعادة إلا المؤمنين بالمسيحية الخاضعين لسلطة الكنيسة والسلطة الروحية الربانية. إذ أن:" **الله هو الحقيقة الأبدية الخالدة، هو السعادة. وأن تكون سعيدا معناه أن تملك الحقيقة الأبدية. . . وكل ذلك عن طريق المحبة. ولهذا فإن القانون الأخلاقي عند "أوغسطين"هو القانون الإلهي**". (عويضة، ك، م، 1993، ص62).

6/ الدولة والقانون بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية :

* الدولة:

يرى آباء الكنيسة أن مذهب الخطيئة الأصلية(خطيئة آدم) أدى لظهور الدولة. إذ أن:"**الدولة كانت عقاب الهي بسبب طبيعة السقوط البشري ولكن بهدي من الكنيسة، يمكن للمجتمع أن تؤدي دورا مهما في التاريخ الكلي بتصحيح الخطأ البشري. . . إلا أن الكائنات البشرية رغم خطيئتهم لم تفقد ربتهم في السلام**". (مسلم، ح، م، 2015، ص425). هذا وكأن الدولة نتجت تكفيرا عن خطيئة الانسان، وبما أن الانسان يسعى إلى إيجاد السلام فعليه الخضوع لسلطة الرب المتمثلة في الكنيسة.

إن الدولة تهتم بما هو متعلق بالجانب الدنيوي من أملاك وسلطة ونفوذ، في حين أن الكنيسة تعنى بالأمور وبالسلطة الروحية للخلود في مملكة الرب، وينبغي أن تخضع السلطة الزمنية الدنيوية للسلطة الروحية، وهذا لتحقيق السلام والمحبة والسعادة. ولا يمكن أبدا أن تعلو سلطة الدولة على سلطة الكنيسة لأن الرب هو الحاكم.

كذلك يدعو "أوغسطين" إلى: "**أن كل سلطة قائمة في هذا العالم يجب أن تمجد من قبل أولئك الذين هم أفضل منها، ان المسيحي بقيامه بهذا يطيع البشر أقل مما يطيع الله الذي أمره بذلك. . . وعلى المسيحي أن يظل محتفظا باستقلال إيمانه إزاء السلطة**". (سماحي، ح، 2016، ص37)، أي أن طاعة السلطة الزمنية هي من طاعة الإله ولكن مع الحفاظ على الدين وعدم المساس به. وهذا لأن المسيحيين يحملون شعار "ما لقيصر لقيصر، وما لله لله". والإله هو القمة في الدولة، ومنظم القوانين والتشريعات والكل مفوض عنده يطبق مشيئته وحكمه. كما يتم التعايش السلمي بين الدولة والكنيسة إلى أن يأتي الخلاص من "يسوع المسيح". إذ أن:"**الدولة الحقيقية روحٌ قوانينها أخلاقية وليست مادية ورعايتها روحية وليست شيطانية، وحضارتها**

أبدية وليست آنية فيها يكتمل اللاّهوت بالنّاسوت". (عفيان، م، (د. ت)، ص98). فالإله هو قمة الدولة ومنظم التشريعات ومنه تأخذ القوانين، وما الحكام إلا مفوضين من طرف الرب، مطبقين شريعته طوعا أو كرها. لأن "المسيح" هو المعلم الأول وباليسر عبر طريقه، ونشر بالمحبة رسالته المقدسة التي يحملها القديسين وآباء الكنيسة. إذ بها يمكن بلوغ السعادة الحقيقية للبشرية والدولة.

وبالتالي فان "أوغسطين" قد ساهم في تأسيس دولة دينية قائمة على الدين المسيحي باعتباره مخلصا للناس من الخطيئة والشر. إذ أن الدولة لا يمكنها أن:" **تكون جزء من مدينة الله إلا إذا خضعت للكنيسة في كل الأمور الدينية. . . ورغم أن المدينة لها جذور تاريخية دينية قديمة قبل ميلاد المسيح، ولكنها أصبحت لها معالمها الخالدة مع مجيء المسيح عليه السلام**". (السلماني، أ، ح، (د. ط)، ص258).

وأن مصالح الدولة تقوم على:"**التعليم من خلال تعليم الواجبات الاجتماعية والروحية في نفس الوقت، لاعتبار الواجبات الاجتماعية وليدة التعاليم الإلهية، وهذا وفقا للقانون الوضعي الذي يعدّ أساس الحياة الاجتماعية . . . ولا يكون متناقضا مع القانون الإلهي، فهو ضروري نتيجة اختلال الانسان وخطأه منذ أن عصى آدم ربه**". (حاروش، ن، د، 2009، ص155). ويقصد بالقانون الوضعي مجموعة القوانين التي يشرعها البشر بأنفسهم، فهي ليست من مصدر الهي، وعلى الدولة التحلي بالأسس الدينية الروحية والخضوع للكنيسة، باعتبارها قادرة على تطبيق العدالة، فإما تكون خاضعة للكنيسة، فتصبح الكنيسة كيانا مستقلا عن الدولة، وإما تكون الدولة مسيحية، في حين أن الدولة التي لا تقوم بذلك فإنها ستكون عاجزة على تحقيق العدالة وبالتالي تنتشر الفوضى والفساد وتنهار في الأخير.

وأن الدولة:" **لا تنشأ عن عقد، ولا تنشأ عن خطايا الناس، وإنما تنشأ عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية. ولهذا فالدولة ضرورية وليست شيئا عرضيا**". (بدوي، ع، 1969، ص38). وهذا لأن الناس بطبعهم يميلون إلى العيش في جماعات فيؤسسون بذلك الدولة. وقد عرفها" أوغسطين" بقوله :"**هي تجمع لكثرة تريد أن تعيش بموجب قانون مرضى به، في إطار من المصالح المشتركة**". (أوغسطين، أ، 2007(c) ص101). وعلى كلّ فإن الرب هو الذي يبني الممالك ويفنيها بإرادته ومشيئته، فلا سلطة للحاكم الزمني على سلطة الرب.

كذلك يعرفها بكونها:" **مجموعة عاقلة تتوحد حول تملّك مشترك وهادئ لما تحب. . . أيّا يكن موضوع حبه واجتمعت مخلوقات عاقلة دون حيوانات وارتبطت فيما بينها في تملّك مشترك هادئ. . . حقّ لها شرعا اسم دولة، وتكون دولة ممتازة إذا كانت المصلحة التي تجمع بين أفرادها شريفة**". (أوغسطين، أ، 2007، (c)، ص161). إذ أن البشر رغم اختلاف نفوسهم وأخلاقهم إلا أنهم لم يفقدوا الرغبة في العيش بسلام. إذ يعتمد فيها أهل مدينة الشيطان على فرض القوة والتسلط، في حين يرى أهل مدينة الإله في الخضوع وعدم المقاومة وتحمل العذاب الدنيوي. كما أن السلام يشترط إتباع الكنيسة والسلطة الأبوية. فهي بالتالي الراعية للدولة.

إن الدولة لا تقوم إلا بالعدل، وبما أنه توجد سلطتان متلازمتان هما"السلطة الزمنية" و"السلطة الروحية". فالأولى لا تسير وفق العدالة كونها تتأسس على شهوة السلطة والجسد. في حين أن الثانية وهي الروحية والتي تتجسد في "الكنيسة" فإنها تقوم على العدالة والفضيلة وبالتالي فإن:"**لا يمكن أن تتحقق العدالة مادامت الدولة غير مسيحية، ولا تسير وفق تعاليم الكنيسة. . . لذلك يبحث عن توافق وازدواجية للسلطتين الزمنية والروحية. . . من أجل قيام دولة إمبراطورية خالدة تجمع الدنيوي بالأخروي**". (عفيان، م، 2019، ص86). وبذلك فإن انهيار روما والدول التي قبلها من بابل والآشورية ما كان إلا بسبب ابتعادها عن العدالة، فسقطت في اللعنة. في حين لو تمسكت بالمسيحية التي تدعوا للخلاص والمحبة والسلام الأرضي والأخروي. والكنيسة هي السلطة الوحيدة التي يمكنها تحقيق العدالة الحقيقية. التي يكون المسيح حاكمها ومؤسسها. فالكنيسة هي التي ستحمي البشر في نظام كوني ديني سماوي خالد في ملكوت الرب. ودولة مقدسة مرتبطة بالرب. حيث أن:"**عظمة الأكليروس لا يمكن أن تقارن بعظة أحد لأن الأساقفة هم خلفاء الأنبياء والرسل**". (بوحجرة، س، 2016، ص37). وبالتالي إن المدينة السماوية لا تحتاج إلى تشريعات بشرية، لأنها تستمد تشريعاتها من الرب، وما عليها سوى طاعة الرب. في حين المدين الأرضية هي بحاجة إلى رادع وقانون سلطة بشرية تكون بحد ذاتها هي من مشيئة الرب، وهذا لإيقاف النزاعات والشرور ونشر السلام الأرضي. ورغم هذا إلا أن المدينة السماوية تخضع لقانون المدينة الأرضية الزمني. إلا فيما يتعارض مع طبيعة العقيدة المسيحية فينبغي التصدي للسلطة الزمنية .

إن الدولة بحاجة إلى قانون ينظم حياتهم ويرى"أوغسطين" بأن نشأة الدولة تقوم على مجتمع يسعى بأفراده إلى أهداف وغايات شريفة مشتركة، إذ تتكون من:"**البيت أولا، ثم المدينة، الكون**

لشبيه بقعر المياه". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص124). أي أن المجمع يضم البداية "الأسرة" والتي هي مجموعة من الأفراد تجمع بينهم علاقة القرابة والرحم والاحترام، فتشكل مجموعة الأسر "مدينة" والتي يبرز فيها اختلاف الثقافات واللغات، ومجموعة المدن تشكل المجتمع الذي تكون لديه القابلية للخضوع لسلطة الدولة(الزمنية). وتشكل بذلك دولة وسماها ب"مجتمع الملائكة القديسين".

يعتبر"أوغسطين"العدالة:"**الفضيلة التي تعطي كل واحد حقه**". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص151). فبالعدالة ينتهي الظلم ويتحقق السلام الأرضي والذي بدوره يقود مدينة الإله للسلام الأبدي، بحيث أن:"**لا عدالة، لا شعوب، ولا دولة**". ". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص152). ومنه فإن الدول الأولى وروما كانت دول ذات أهداف مشتركة لكنها لم تستوفي "العدالة". وتميزت بالطغيان والشرور. إذ أن العناية الإلهية تنظم كل شيء ويخضع كل دولة لنظام حكم المنسجم مع طبيعته. كما أنه يجب أن تتوفر في الحاكم صفات إذ يقول:" **الرؤساء يحكمون بالعدل فلا يتكبرون، . . خدمة الحلال الأسمى ليبسطوا ملكه إلى البعيد. . . إن خافوا الله وأحبوه. . . إذا تباطؤا في العقاب وأسرعوا إلى المغفرة. . . ويترفعون عن الحقد والانتقام. . . مقبلين على محبة الحياة الأبدية**". (أوغسطين، أ، 2006، ص267، 268). وبذلك كون الحاكم الزمني خاضع لتشريع الرب عادلا محبا للحقيقة وساعيا لبلوغ السعادة الحقيقية. ومنه فإن دور الدولة يتمثل في تحقيق السعادة الأبدية للمواطنين وذلك بإخضاع السلطة الزمنية لسلطة الكنيسة التي هي دار الرب والمؤسسة التي جعلها في خدمة تشريعات الرب.

*** القانون :**

قسم"أوغسطين" القانون إلى قانونين:"قانون إلهي"مصدره الإله" وهو"القانون الطبيعي". و"القانون الوضعي". ويرى بأن "القانون" هو "قانون الرب"، فالله هو الحقيقة الأبدية الخالدة، وقانونه هو القانون الأعلى(قانون إلهي) الذي يسود العالم. فلا ينتهكه قانون البشر.

إن القانون الإلهي أو:" **العناية الإلهية هي التي توجه الأسباب بكافة أشكالها. . . فالله هو مبدأ كل ما في الطبيعة. . . ويؤمن بتدخل الإله الحق في مجرى الأحداث والتاريخ**". (دكار، إ، ب، ع، 2020، ص8، 9). وهذا يدل على أن القانون الإلهي أسمى من القانون الوضعي، إذ أنه ما من حكم أرض إلا ومصدره المشيئة الإلهية. كما يرى بأن القانون الطبيعي:"**هو أساس الحياة الاجتماعية، وهذا القانون يستكشفه الأفراد بالعقل. . . والقانون الوضعي. . . يجب أن**

ينبثق من القانون الطبيعي. . . فإنه نسبي". (كرم، ي، 2014، ص50). إن الخطيئة أفضت إلى التحول من القانون الطبيعي إلى القانون الوضعي. لكن رغم ذلك فإن السلطة الزمنية تخضع للقانون الطبيعي.

كما أن :" **القانون الأبدي أو قانون الطبيعة ثابت لا يتغير بتغير الزمان أو المكان، لأنه مودعٌ في نفوس الأفراد منذ البدء. ومصدره الله**". (بدوي، ع، 1969، ص35). فالقانون الإلهي قانون يتماشى مع الطبيعة وينطبق على كل النّاس، كونه منبثق من العناية الإلهية التي أحسنت صنع كل شيء. في حين أن القانون الوضعي هو قانون منبثق من القانون الطبيعي بحد ذاته . أو يمكننا القول أن القانون الوضعي يخضع للقانون الطبيعي. إضافة لكونه محدود لأن من ينظمه هم البشر. وحكم البشر لا يمكنه أن يتميز بالعدالة المطلقة.

إذن الديانة المسيحية:"**لا تدمر الوطنية بل تدعمها بأن تجعلها واجبا دينيا، ويرى أنه لابد من طاعة السلطة المدنية وقوانين المدنية، فمقاومة هذه القوانين تحد لقانون الله الخاص**". (مسلم، ح، م، 2016، ص306).

وختاما، فإن "أوغسطين" قد جمع في تصوره لمدينة الإله بين السياسة والتاريخ واللاهوت، إذ جعل كلا المدينتين "مدينة الرب" و"مدينة الشيطان" ناتجتان عن "الحب". فحب الذات تولد عنه "المدينة الأرضية"، وحب الإله تولد عنه" المدينة السماوية". إذ تربط بينهما علاقة صراع منذ الأزل. صراع بين الخير والشر. بين الفضائل والرذائل. بين حب الذات وحب الرب. ولن يتم فضّ هذا النزاع إلا حين يأتي "يسوع المسيح". يجمع أصحاب المدينة السماوية في"أورشليم". وينتهي بذلك التاريخ البشري. وتبدأ مرحلة الخلود الأبدي، حيث تخلد المدينة الأرضية في ملكوت الرب مع الملائكة والقديسين وكل أطاع وخدم الرب. في حين تخلد المملكة الشيطانية في الجحيم والعذاب الأبدي مع الشيطان والملائكة الأشرار والبشر الذين انساقوا وراء شهوات الأرض وكفروا بالرب.

وإلى ذلك الحين فينبغي العيش في دولة أو سلطة زمنية، إذ يرى أن الدولة الحقيقية هي الدولة المسيحية، وبما أن هذا لم يتحقق فيجب على الدولة الأرضية أن تخضع للكنيسة ولا تعلو عليها لأنها كيان رباني. أو أن يكون للكنيسة استقلالها الخاص. وعلى الدولة أن تقوم على أساس العدالة فهي أساس إزدهار الأمم، أما الظلم والجور فهما بداية انهيار وزوال الدول مهما كانت قوتها. وهذا بفضل العناية الإلهية التي تنظم الكون وتضبطه.

المبحث الثاني

دراسة نقدية لنظرية الدولة عند القديس أوغسطين.

*****

1/ نقد نظرية الدولة عند أوغسطين:

❖ النقد :

لقد تعرضت نظرية "أوغسطين" للنقد كباقي الأفكار والتي تسعى لنقد بناء، يصحح المفاهيم ويضبطها. ومن بينها نذكر :

1/- أن ما جاء ذكره في "مدينة الإله" يكشف عن أن فكرته هذه فكرة "طوباوية"، على غرار "طوباوية أفلاطون". وبالتالي فيها نوع من السلوك السحري الذي يُنظِّر لمجتمع مفارق تماما لما هو واقع.

فالطوباوية هي من اللفظ العربي طوبى وطيِّب، وهي ما تعرف ب "اليوتوبيا". وهي:" **مشتقة من اللفظ اليوناني" UTOPIE" وهو مكون من مقطعين "OU" ومعناه" لا". و"TOPOS " ومعناها "لا مكان". أي مكان غير موجود، وفي السياسة "يوتوبيا عبارة عن رغبة ليس في الإمكان تحقيق صدقها لا الآن ولا بعد الآن. . . وجمهورية أفلاطون هي أول يوتوبيا يليها كتاب مور بعنوان"يوتوبيا"**. (وهبة، م، 2007، ص6922). فهي بالتالي مدن مفارقة لعالمنا تكون مثالية من كل الجوانب، خاصة من الجانب الأخلاقي والقيمي كالعدالة، الحب، الخير، والسعادة. . . ، وتتميز بالثبات والمطلقية. وقد برزت عند "أفلاطون" في"الجمهورية"، وعند "الفارابي" في"المدينة الفاضلة"، وعند"فرانسيس بيكون"في"أطلنطس الجديدة"، وعند "توماس مور" في"يوتوبيا".

كما نجد"أوغسطين" يمارس اليوتوبيا في "مدينة الإله"، والتي يرجح إلى أنها محاكاة لجمهورية أفلاطون الفاضلة. إذ يرى أفلاطون أن المدن اليونانية قد ساد فيها الطغيان والإستبداد وخاصة بعد قتل"سقراط". وغياب العدالة والفضائل. وإذا ما وُجدت فتكون نسبية ومزيفة. وبذلك أخذ على عاتقه مهمة الإصلاح والتغيير لكن بشكل مثالي غير واقعي. ببناءه لعالم مثالي مفارق للعالم الحسي المادي. مدينة مثالية فيها الخير، العدالة، السعادة، الحب، والجمال. . . وكل ما يرجوه البشر بشكل مطلق وحقيقي. وعالم فيه الشّر، الطغيان، مادي فان وزائل. وجعل من

"الفيلسوف" حاكما على "مدينته الفاضلة". كون الفيلسوف قد تمكن من الموازنة بين القوى الثلاث (العاقلة، الغضبية، الشهوانية). وتحققت له بذلك فضائل أربعة وهي: الحكمة، الشجاعة، العفة، العدالة. ويقود أهل المدينة إلى السعادة المطلقة وعالم المثل.

وهذا ما نجده عند "أوغسطين" وبشكل متقارب جدا. إذ قسّم العالم إلى "عالم سماوي" ويمثل"مملكة الرب"، و"عالم أرضي" يتمثل في"مملكة الشيطان". فالأولى تتميز بالسعادة والخلود في النعيم الرباني، وهي مدينة تدفع للسلام والخلاص وبالتالي تسعى لحفظ الفضائل من حب، خير، عدالة. ولكن لا تعود للفيلسوف وهنا نجد دور المسيحية في الفكر الأوغسطيني، وتمثلها الكنيسة في هذا العالم الأرضي، وملكوت الرب السماوي في العالم الأخروي. والثانية هي التي تتمثل في الدول والإمبراطوريات الوثنية العظمى كالبابليون والرومان، دول تدعو لحب التسلط والتملك والشهوات الحسية، ويظن أهلها أنهم بالغي السعادة والفضائل لكن هذا زيف وضلال من الشياطين لهم. والسعادة لا يكمن بلوغها إلا بإماتة شهوات الجسد وأطماعه والتخلص من حب الذات. وإن:"**القديس أوغسطين سار على النهج الذي رسمه آباء الكنيسة القدامى. . . كما إختار الفلسفة الأفلاطونية كمرجعية معرفية ومنهجية لمذهبه، لأنها الفلسفة الوحيدة التي تتناسب مع دعائم ميتافيزيقاه**"(سعودي، ك، (د. ت)، ص20). وبالتالي هي يوتوبيا لم تتحمل إنتظار نهاية التاريخ الواقعي الذي يتحقق في أرض الواقع فسعى بذلك لبناء مدينته الإلهية، لبلوغ الفردوس السماوي.

2/- طغيان الفكر الديني على الفكر السياسي، والتراتبية السياسية والتي جعلت نظامه نظاما إستبداديا، ومحاولته جعل السلطة الدينية الكنسية أقوى من السلطة الزمنية، إذ أن الدول الوثنية لا تدوم ما دامت لم تتبع طريق المسيح، وبذلك فهم بحاجة للإرشاد من طرف الكنيسة وهذا بأن تكون السلطة الكنسية أعلى من السلطة الزمنية. لكونها مفوضة إلهيا ولأن الدولة حسبه نتجت عن الخطيئة وتطغى عليها الشهوات الأرضية فإنها غير قادرة على أن تتبين طريق الحق من الضلال، وغير قادرة على تحقيق العدالة حتى ولو سعت لذلك. إذا ما رفض الحكام الزمنيين الخضوع للكنيسة فما عليهم سوى عدم التدخل في شؤونها. وهنا نلاحظ أن ما جاء به أوغسطين في إعطاءه للكنيسة السلطة العليا على السلطة الزمنية للإمبراطور فقد:"**أراد أن تكون الدولة دينية، بل أن تسيطر الكنيسة على الدولة من أجل تحقيق السعادتين، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، وتشرف الكنيسة على الدولة حتى توجهها إلى الحياة الآخرة**".

(صبحي، أ، م، 1975، ص169). وفكرته في العناية الإلهية التي تحمي الكنيسة وترشدها إجحاف في قدرة الإنسان على أن يقود نفسه بنفسه. وبهذا كان الأثر وخيما على أوروبا فيما بعد إذ طغت الكنيسة على الحكام والشعب على حد سواء، وعلى كل الجوانب الفكرية والسياسية والإقتصادية. وخرجت عما كان من دور خاص بها وهو"الجانب الروحي الإيماني". فالكنيسة ليست مجتمعا مثاليا مقدسا، بل عليها أن تخضع للدولة وتتصرف بعيدا عن الأمور والشؤون الدنيوية. وبذلك فالدولة هي أصل ومصدر القوانين والتشريعات. فلم تجلب سلطة الكنيسة إلا الأسى والجهل والحروب والظلمات لأوروبا. فالمسيحية لاقت إنتشارا فيما بعد بفضل هذه الدفاعات الحماسية النابعة من القديسين فكان إعتناق المسيحية في تزايد، وهذا شكل ضغطا على الدولة، وبذلك أصبح حكام السلطة الزمنية والتي تهدف لتحقيق السعادة والسلام لمواطنيها تعيش ضغوطات فصار لابد لها أن ترتبط بالكنيسة وتقدم له تنازلات من إعفاءها من الضرائب وغيرها، مما ساهم في الثراء الفاحش للكنيسة والباباوات، إذ صارت أملاك البابا مساوية أو أكثر من أملاك الحاكم الزمني. وقد وُصفت مدينته الإلهية بأنها:"**ليست فلسفة ولا تاريخا وإنما مجرد لاهوت وقصص بها خيال قديس، لقد مسخ الحقيقة فجعل البشر كقطع الشطرنج في لعبة على رقعة الزمان بين الله والشيطان**". (بوعروري، ي، 2021، ص16).

3/- طغيان الثنائيات على فكر"أوغسطين" التي ترجع إلى انضمامه في شبابه للمذهب المانوي وتأثره به، فالمانوية ترد نشوء العالم إلى مادتين أزليتين هما:"الخير والشر"، "النور والظلمات"، وهذا ما تجلى في تقسيم "أوغسطين" العالم والبشر إلى مدينتان "مملكة الرب" و"مملكة الشيطان" والصراع الممتد بينهما منذ عصيان الملائكة للرب، وإقامته للموازنة بينهما في "الفضيلة والرذيلة"، "الخير والشر"، "حب الرب وحب الذات"، "النعيم والجحيم"، "النور والظلمات". فبالرغم من أنه قد دحض مزاعم المانوية الضالة وتبرأ من تعاليمها قائلا:"**تسع سنوات تمرغت في ذلك الوحل العميق وفي ظلمات الضلال وكانت المحاولات المتتالية للخلاص تزيد من غرقي فيها**". (2012، ص90). وهذا لإغتراره بالمبادئ التي كانت تنادي بها من عفة وزهد وغيرها من القيم الفاضلة غير أنه إكتشف زيفها. ورفضه القول بأن الشر مصدر إلهي، فالرب لم يصدر منه إلا المحبة والخير والسلام، أما الشرور فهي نابعة من الإرادة البشرية. التي حادت عن طريق الرب، وإتبعت سبيل الشياطين. وبالرغم من إنفصاله عنها إلا أن تأثير التسع سنوات

التي قضاها في أحضانها لم يكن بقدرته القضاء عليها وهذا ما برز في الثنائيات المتصارعة التي برزت في أفكاره.

4/- موقفه السلبي من الدول القوية، كالدول الشرقية وبابل خاصة، والدولة الرومانية، وإعتبارها مدن شيطانية، خضعت للشياطين ونفرت من الذات والمحبة الإلهية. وبالرغم من قوتها وعظمتها إلا أنها لن تستمر وستنهار ولن تنعم بالسعادة والخيرات السماوية الأبدية فقد عاشوا في أوهام الوثنية. وممارستهم الرذائل والشرور إرضاءً للآلهة الشيطانية. وإعتقادهم بأن السعادة لا تكون أبدية بل آنية في الحياة الأرضية. وبذلك فإن إنهيارها هو تمهيد لخلاص مدينة الرب. وهنا نلاحظ عدم تشييده بعظمة هذه الدول التي سادت الفكر والعالم وما أبدعته من آثار وقوانين، بل حصرها في الجانب السلبي المتمثل في العقيدة التي وصفها بالتصرفات الخليعة، ف"بابل" حسبه قد كانت:"**تمثل أبراجها محاولة الندية والتشبه بالإله في العظمة والعلي**" . (بوعرفة، ع، 2002، ص101).

5/- إعتماده على مبدأ "المحبة" كأساس لإنشاء المدينة، وجعل من المحبة أساس التجمع البشري في كلا المدينتين، فمدينة الرب يغلب عليها حب الرب، ومدينة الشيطان يغلب عليها حب الشيطان. وهذا لا يُقوم لنا دولة، لأن الدولة تقوم على أساس:"الشعب، السلطة، الرقعة الجغرافية، رمز السيادة(العَلمُ). أما المحبة فهي سلوك تعاطفي يعزز الوحدة داخل المدينة. لكنها لا تفي بالشروط التي تستلزم قيام الدولة. فالمحبة قد تتغير فهي قيمة غير ثابتة. متفاديا كذلك الجانب السياسي والحربي إذ أن روما لم تصل لتكوين إمبراطورية بالحب بل بالحنكة الحربية والقوة .

6/- جعل"أوغسطين" القيم الإيتيقية في السياسة ثابتة، في حين أنها تتميز بالتغير والنسبية، فقد جعل من الخير ، المحبة، التسامح، والعدالة قيم راسخة في مدينة الرب وهي بذلك لا تحيد عن طريق العناية الإلهية، والجوهر الحقيقي هو بلوغ السعادة في ملكوت الرب. في حين الواقع يثبت أن القيم لا مطلقية لها. فما يراه أهالي مدينة الرب خيرا من تضحية وصبر على الإبتلاءات والظلم، يراه أهالي مدينة الشيطان شرا. وما تراه مملكة الشيطان من خير وسعادة وكمال فإن مدينة الرب يستعفف أهلها منه.

7/- كما أنه لم يتعمق في المسألة الإقتصادية والتي هي أساس قيام المدينة. وإهتم فقط بالجانب الإيماني والروحي. غاضًا بصره عن الجانب الإقتصادي، إذ إعتبر الشؤون الإقتصادية

مغريات شيطانية تزرع حب الشيطان والإنغماس في اللذات الشيطانية، وهذا يزرع الفشل وإنهيار الدول، فمنجزات الحضارات تتطلب قوة إقتصادية. فالإيمان وحياة الورع لا تنتج إلا بشرا روحانيين خاملين.

8/- جعله نهاية التاريخ تتوقف على قيام دولة الرب معتقدا أنه بمجرد بدايتها ينتهي التاريخ، ويتطلب هذا إنتظار الخلاص لتجاوز كل نقائص البشر. ففي نهاية التاريخ تسود العدالة، وينتهي الصراع الذي بين مدينة الرب ومدينة الشيطان بدخول المدينة الإلهية عالم النعيم والملكوت الإلهي. إذ لم يجعل مدينة الرب تواصل إستمرارها في العالم الواقعي، بل جعلها تعاني وتقاسي وتشرب من نفس كأس المرارة التي تشرب منها مدينة الشيطان. إذ قال:"**سوف تُضايق الكنيسة المقدسة في كل العالم، وتتعذب مدينة المسيح بأسرها بسبب مدينة الشيطان**". (أوغسطين، أ، 2007(B)، ص200). وأن القيامة ستشهدها كلاهما. فالمدينة الشيطانية تخلد في العذاب، والمدينة الإلهية تنعم مع الملائكة الصالحين والقديسين الأخيار.

9/- جعل "أوغسطين" الحرب تتجه نحو صوبين فقط. "حرب عادلة"وهي التي تشنها الكنيسة، و"حرب غير عادلة" وهي التي يشنها الآخر. وهذا فيه إجحاف، كما دعا للقهر السلطوي. فقد برّر:"**إستخدام العنف والإستعانة بالدولة من أجل الحفاظ على وحدة الكنيسة وإجبار الخارجين عن الإيمان المستقيم إلى العودة إلى حظيرة المسيح**". (مجدي، م، 2011، ص1). فالحرب عنده هي حرب يُشنها ويشرعها الدين المسيحي وتكون متوافقة مع القانون الطبيعي الإلهي وتكون من أجل الدفاع عن المسيحيين وصد الأذى عنهم، ومعاقبة المعتدين عليها، وبذلك فإن هذه الحرب العادلة التي يشرعها للكنيسة يجعلها بقصد أو غير قصد "حربا غير عادلة" فهي بذلك تمهيد منه إلى أن تسلط الكنيسة على الدولة بشكل كامل، وهذا متناقض مع ما يأمر به الكتاب المقدس في أن المسيح يدعو لإعطاء الخد الأيمن لمن ضربك في الخد الأيسر. فكيف إذا تتوافق الحرب مع المحبة ومع إرادة السلام وهي تمارس العنف في إستراتيجياتها؟ وكيف يُشرِّع المسيحيون للعنف وهم يزعمون أن العقيدة المسيحية تبدأ من المحبة والسلام وتنتهي إليهما؟

10/- موالاة "أوغسطين" للإمبراطورية الرومانية جعل منه منبوذا من طرف أمازيغ المغرب العربي وخاصة أمازيغ الجزائر ومنطقة الشّاوية، إذ يعتبرونه خائنا لأصله متباهيا بالرومان فقد:"**كان مواليا للرومان وقاتل في جيشهم، لكن دفاعا عن الجزائر**". (بوعرفة، ع، 2002،

ص102). فهو كشخصية مسيحية يرونه غير مشرف للجزائر، ولا علاقة له لا بالجزائر ولا بالأمازيغ، بل هو اليد اليمنى للإحتلال الروماني، وتعرفه الموسوعة الفرنسية " يونيفيرساليس" :" **وُلد القديس أوغسطين مواطنا رومانيا، هو من رومان إفريقيا، عاش مخلصا ثابت الإخلاص للحضارة الرومانية"**. (سعدي، ع، 2022، ص1). فالرومان حاربوا الجزائر وطمسوا تاريخ الأمازيغ فيها. إلا أنه ينبغي إنصافه إذ أنه إعتبر ما حلّ بروما هو نتيجة شرورها وحروبها الغاشمة على المستضعفين. وجعل منها مدينة شيطانية.

11/- إن أوغسطين جعل من الخطيئة التي إرتكبها آدم لعنة لصيقة بالبشر، وجعل الدولة عقاب إلهي على الخطيئة، إذا لما تزعم المسيحية فكرة"الفداء"!؟ وأن يسوع المسيح فدا البشرية بنفسه وتم صلبه! فنجد أوغسطين بنى مدينة الإله على فكرة الخطيئة. فهذا ظلم وباطل ما يقولون فهو مخالف للنصوص الدينية وللعقل، فكيف يخطئ آدم عليه السلام ونحمل نحن خطئه؟ فهذا ليس عدلا ربانيا. إذ أن:"**هذه العقيدة فيها وصف بالظلم. . . بولس نفسه يقول عن المسيح 'صار لعنة من أجلنا' فكيف يسمح هؤلاء النصارى لأنفسهم أن يعبدوا إلها حقّت عليه اللعنة؟. . . إذ في سفر"أرميا" يقول في تعبير واضح:بل كل واحد يموت بذنبه"**. (الشارف، م، 2006، ص274، 275). وبالتالي إن الإعتقاد بالخطيئة الموروثة فيه تناقض مع مبدأ الثواب والعقاب، وفيه نكران للعدل الإلهي، فقد صدق "عمر بن الخطاب رضي الله عنه" حينما قال:"أهينوهم ولا تظلموهم فقد
سبُّوا الله عزّ وجل مسبَّةً ما سبَّهُ إياها أحد من البشر".

❖ التجاوز :

لقد تمّ تجاوز أصحاب نظرية العقد الإجتماعي فكرة "أوغسطين" حول "الدولة الإلهية"، أو مدينة يحكمها شخص له تفويض إلهي(الكنيسة). إذ يعتبر أصحاب العقد الإجتماعي بأن الدولة الدينية ليس لها أي أهمية، وأن:"**أفراد الشعب أجمعوا على قيام الدولة من خلال عقد إتفقت عليه مجموعة الأفراد مع الحاكمين، حيث يقبل الشعب حكم الدولة مقابل تلبية حاجيات النّاس الأمنية وقد نادى بهذه النظرية بعض من المفكرين السياسيين مثل: توماس هوبز، جون لوك، جان جاك روسو**". (حيدر، م، 2018، ص39). فسيطرة السلطة الدينية على السلطة الزمنية عملت على إنقسام الدولة وإبقائها في حالة الضعف، والدولة هي صاحبة السيادة والسلطة تكون إصطناعية أي عبارة عن إتفاق بين الحاكم والرعية بموجب حماية الحريات. بحيث أن:"**هدف الدولة الحياة الأرضية، وهدف الكنيسة الحياة السماوية، نحن إذ نولد ملك الوطن لا ملك الكنيسة**". (كرم، ي، 2012، ص154). فهي بذلك نظرية ترفض أن ترى السلطة في يد حاكم يزعم أنه من طبيعة إلهية أو ستمد سلطته من العناية الإلهية، أو أنه مختار من الرب كالتي زعمها أوغسطين.

2/ الثيوقراطية المسيحية ما بعد أوغسطين للمدينة :

إن الكنيسة المسيحية التي كانت تنفر من لذات الحياة الدنيوية الفانية، وحاربت من أجل تحقيق خلاصها من عالم الشرور، هاهي ذي تغرق في مستنقع زينه الشيطان لها "الثيوقراطية". فجعلت نفسها من كونها خادمة متواضعة للرب إلى سلطة إلهية مقدسة وظل الرب في الأرض، لها سلطة الأمر والنهي المطلق.

الثيوقراطية **THÈOCRATIE** هي كلمة مأخوذة من:" **كلمتين يونانيتين، إحداهما THEOS بمعنى الله، وKRATOS بمعنى قوة أو سلطة، ويقال على النظام السياسي الذي يستند إلى سلطان إلهي**". (وهبة، م، 2007، ص231). فقد بدأت الثيوقراطية منذ الحضارات الشرقية القديمة كالفرعونية التي جعلت من الفرعون إلهًا يُعبد ولا يرفض له أمر، وكذلك الحضارة الصينية واليونانية، فكلها قد قدست الإمبراطور والحاكم وإعتبرته إما إله أو من أصلاب الآلهة. إذ:" يستمد الحاكم السلطة من الآلهة عند الوثنيين، ومن الرب عند الموحدين كالمسيحيين واليهود. وقد طغت "الثيوقراطية" عند الغرب، لأن الإسلام لا يستمد فيه الحاكم السلطة من الله، بل هو من إختيار المسلمين عن طريق "الشورى". وقد صارت الكنيسة تمد الحاكم

بالقداسة إذ أنه حُكمٌ: "**بمقتضى التفويض الإلهي للحاكمين مما يضفي عليهم صفة العصمة والقداسة. . . ولا يجوز لأحد من الرعية أن يخالفه أو يراجعه في حكمه**". (الديب، ح، ب، 2011، ص30)، وإن أغضب الكنيسة أو عارض رجال الدين(الأكليروس) فإنها تخلع عنه القداسة وتحل عليه اللعنة من خُدّام الرب. إذ أن (الأكليروس)**CLERGÈ**هي:"**هيئة دينية تعود نشأتها إلى تفويض رئيس القبيلة، الذي كان يجمع كل السلطات بما فيها الدينية في شخصه. . . فنشأ النظام الكهنوتي. . . وقد عرفت الديانات السماوية الكهنوت، ولعب الأكليروس المسيحي دورا دنيويا في ظل هيمنة الكاثوليكية وباباوات روما إبان العصور الوسطى**". (الكيالي، ع، (د، ت)، ص813).

لقد نشأت المسيحية في بادئ الأمر كدين مستضعف يدعو إلى المحبة وعبادة الرب للخلاص والتخلص من شرور الجسد والعالم، وكانت الكنيسة تعترف بأن من صلاحياتها أن تهتم بالجانب الروحي الإيماني فقط أما الجانب السياسي وممتلكات الأراضي ونعم الأرض كانت هي في غنى عنها إذ كانت من مسؤولية وشؤون الحاكم. وكانت الكنيسة تدعو إلى الزهد في الدنيا والعمل للحياة الآخرة التي تبدأ بالبعث ثم الحساب ثم الخلود الأبدي. وكان الإيمان:"**أولوية تشكل معطى نهائيا جاهزا لا يناقش ولا يمس وكان الإنسان. . . مدعوا للعمل من أجل إنقاذ روحه في الدار الآخرة عن طريق الخضوع لكنيسة الله وتعاليمها**". (صالح، ه، 2005، ص20). ولكن مع مرور السنوات وتعرض المسيحيين للإضطهاد والمضايقات من اليهود والوثنيين لجأت الكنيسة إلى التقرب والإحتكاك من سلطة الحاكم الزمني(الإمبراطور). إذ أصدر:"**الإمبراطور دقلديانوس (284-305م) أمرا إمبراطوريا بهدم الكنائس، وحرق الكتب الدينية للمسيحيين. . . وإجبار رؤساء الكنائس بتقديم الذبائح للأوثان. . . حتى جاء عام313م بالخير الوفير على المسيحية عندما أعلن الإمبراطور"قسطنطين"و"ليكينيوس" ما عُرف فيما بعد ب"مرسوم ميلان" للحد من إضطهاد المسيحيين**". (زايد، م، ع، 2016، ص68). وبذلك صار للمسيحيين الحرية في عبادة ربهم وممارسة شعائرهم الدينية، وقد أُصدرت قوانين بحماية ممتلكات المسيحيين وهذا ما برز في "قانون الألواح الإثني عشر" كما سبق وذكرنا.

وقد ساهمت هجومات البرابرة على الإمبراطورية إلى التنفيس على الكنيسة بالرغم من المضايقات التي كالتها لها الوثنية كونها سبب الضعف وحلول البرابرة عليهم، إلا أنه مع

دفاعات وحنكة رجال الكنيسة فقد إستقوت شوكتهم وصارت سلطة الكنيسة مساوية لسلطة الإمبراطور وأطلق المسيحيون على أنفسهم وعلى كنيستهم لفظ:"**إكليزيا ECCLESIA بمعنى"الجامعة، " على إعتبار أنهم متوحدون فيما بينهم، فهم بني إسرائيل الجدد. . . وقد فرّقوا بين أمرين لدى إنشائهم لكنيستهم الأولى:أن هناك كنيسة مادية على الأرض، وكنيسة خالدة تقبع في السماء وهي تمثل عروس المسيح عليه السلام**". (زايد، م، ع، 2016، ص79). وهذا ما نجده متجسدا في "مدينة الرب" عند "أوغسطين" التي زعم فيها بأن "روما"هي مدينة شيطانية من صنع البشر، أما "مدينة الرب" فهي المدينة السماوية المبنية على حب الرب، وقد إنتقلت تلك المدينة إلى بني إسرائيل ثم تجسدت في الكنيسة.

وقد تعرضت الكنيسة لمصيبة نشأت من داخلها وتمثلت في الإنشقاق الكنسي الذي تجلى في الصراع حول"طبيعة الرب" إذا ما كان جوهره جسدي مادي كالبشر أو غير بشري، وكذلك حول ما إذا كانت طبيعة "الإله الإبن" مساوية لطبيعة "الإله الأب"، وكادت الكنيسة أن تتصدع إلى أن "قسطنطين" قد إحتوى هذا الإنشقاق حيث دعا آباء الكنائس إلى:"**عقد مُجمع ديني في مدينة نيقية NICEAفي آسيا الصغرى عام 325م. . . وحاول زعماء الكنيسة مرارا الوصول إلى حل وسط، لكن دون جدوى فقد كان النزاع الديني يزداد حدة نتيجة الأطماع الشديدة بين الكنائس الثلاث الكبرى في روما، القسطنطينية والإسكندرية**". (زايد، م، ع، 2016، ص82، 83). إذ سعت كل الكنائس إلى زيادة نفوذها من الجانب المادي، وبالمال إستطاعت الكنيسة تقديم المساعدات للمحتاجين، وتمَّ كذلك إغداقها بالهبات من طرف الأغنياء وتمكنت من أن تُحقق إرتفاع مكانتها، حتى صارت سلطتها مساوية لسلطة الحاكم الزمني، وما كان أمام الأباطرة إلا التقرب منها لتُخضع لهم الشعب إذ زعمت بأن الحاكم مقدس. وبالتالي فقد صار الإمبراطور المسيحي مقدسا إختاره الرب ليمثله على الأرض، وكما أن الرب واحد، فإنه ينبغي أن تكون السلطة في يد إمبراطور واحد له السيادة على العالم، ويُرجع الإمبراطور قداسته إلى إيمانه العميق وقدرته على الوصول ومعرفة مالا يمكن للرعية معرفته وبلوغه، وبالتالي فالسلطة الإمبراطورية والسلطة الكهنوتية الكنسية تصدران من مصدر واحد وهو"الرب".

ولتهاون الأكليروس عن السلطة الروحية وعدم مراقبة رجال الكنيسة لمن يسلمون مناصب الكنسية، فقد شاع بأن:"**إمرأة تنكَّرت ودعت نفسها يوحنا وقيل أنها وصلت إلى الكرسي الحبري بعلمها وذكائها وساست الكنيسة مدة من الزمان وتُسمى غالبا البابة حنه**". (لورنس، ف،

م، ي، 1875، ص213، 214). وهذا دليل على أن الكنيسة كان تبيع المناصب الكنسية بدون أن تتحقق من الشخص عن دينه أو أخلاقه أو نواياه، وأما أن تبلغ إمرأة منصب عال في الكنيسة وفي ذلك الزمان فهذا يعرب عن الأخطاء الفادحة لرجال الدين. وتغاضيهم عن الجانب الروحي مقابل تحقيق الجانب الدنيوي.

وقد سعت الكنيسة والباباوات إلى:"**نسج خيوط نظرية السمو البابوي على الدولة، وكان طبيعيا أن يلجأ الباباوات إلى نصوص الكتاب المقدس ليُرسخوا مفاهيم السمو البابوي. . . وأن المسيح منح القديس بطرس سلطة الحلِّ والربط في الأرض والسماء، ولما كان القديس بطرس هو من أسس كنيسة روما فقد راحت البابوية تزعم أنها تستمد سلطانها من أمير الرسل بطرس**". (زايد، م، ع، 2016، ص96). وقد إستغلت الكنيسة والباباوات الكتاب المقدس لصالحها وحرَّمت تواجده أو قراءته من طرف الشعب، وحصرته على قديسي وباباوات ورجال الكنيسة. وقد لعبت الثيوقراطية المسيحية دورا كبيرا في الرفع من شأن الكنيسة وتوليتها شؤونا سياسية وإقتصادية لم تكن متوافقة مع تعاليم المسيح عليه السلام. فهي كانت تدعو إلى:"**الزهد في الحياة الدنيا واحتقارها واعتبارها دار عبور إلى الحياة الحقيقية، وأن حياة النعيم والخلود في الدار الآخرة، وبالتالي لا ينبغي على الإنسان أن ينال من متع الأولى إلا القليل**". (بروتون، ج، 2014، ص19). فقد كانت الكنيسة تدعو الناس لحياة الورع والفقر الذي لم يكن عارا بل كان الفقر يقرب من الرب وعليهم أن يصبروا على الإبتلاءات والطاعة التامة للكنيسة. وهذا ما لم تقم بإتباعه الكنيسة بل إنغمست في المتع ولذات الحياة الدنيوية.

بإنحراف الكنيسة عن السلطة الروحية الإيمانية التي كانت مفوضة لها، صارت تتسابق مع الملوك والأباطرة في جمع المال وتكنيز الذهب والفضة، إذ أنه في:"**القرنين9و10م أدى تعطش المسؤولين الدينيين الكبار إلى السلطة وجمع الثروة إلى فساد المؤسسة الكنسية برُمتها، إذ انتشرت السيمونية أي شراء المناصب الكهنوتية أو بيعها. . . كما ساد الفساد الأخلاقي للرهبان والراهبات. . . ولجأت السلطات الدينية إلى تزوير الوثائق والمستندات من أجل تدعيم إدعاتها للحصول على السلطان الدنيوي**". (الغوج، م، م، 2016، ص156). وهذا الطغيان الكنسي ساهم في رفع السلطة الكنسية وجعلها أعلى من سلطة الإمبراطور، إلا أن هذا قد كشف خداع وزيف الكنيسة، حيث فقدت الكنيسة مكانتها الروحية، حيث أن بيع المناصب البابوية نتج عنها فوضى أخلاقية وخاصة مع شيوع زواج رجال الدين، والغرق في

اللهو والشهوات الحسية وصار الباباوات كباقي النبلاء يستلذ بجمع الأموال والأراضي وإستقطاب النساء، وببيع المناصب الكهنوتية صار بإمكان أي شخص غارق في الفساد الأخلاقي أن يصل لأعلى منصب في الكنيسة والذي هو "منصب البابا".

فقد تخلت الكنيسة عن دورها بغية أن تتم حماية ممتلكاتها وثروتها من أطماع وبلبلة النبلاء حولها. وقد زادت سلطة:"**البابوية قوة بعد إعتناق الملك الفرنجي "كلوفس" المسيحية. . . كما ظهر ملوك الفرنجة في ثوب حُماة المسيحية في الغرب، وحلفاء البابوية، مما كان له الأثر في مستقبل أوروبا العصور الوسطى. . . وتضاعفت ممتلكاتها خلال القرن6م. . . فبدأت البابوية بتكوين جيش خاص بها للدفاع عن ممتلكاتها**". (زايد، م، ع، 2016، ص85). وتعتبر فترة العصور الوسطى فترة مهمة من تاريخ العالم الأوروبي، فهي فترة تمكننا من معرفة الكيفية التي تمَّ بها الإنتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة من خلال الفترة التي توسطتهما وهي

(عصر النهضة). فقد بدأت:"**العصور الوسطى بعد إنهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية بفترة إضطراب وقلق بسبب الغارات المتعاقبة التي كانت تقوم بها القبائل الجرمانية. . . تتميز العصور الوسطى بوجود إمبراطورية عالمية خضع لسيطرتها وحُكمها أغلب أنحاء أوروبا آنذاك، وهي الإمبراطورية الجرمانية المقدسة. . . وبتأثير رجال الدين في توجيه الحياة السياسية والإقتصادية والفكرية والثقافية**". (النايف، ح، ج، 2016، ص9، 10). ومنه نلاحظ زيادة رهيبة في نفوذ السلطة الكنسية حتى أن العلماء كانوا من القساوسة وعلماء الدين وكانت تعاليمهم مسلم بها لا تقبل النِقاش أو الجدال، وخاصة في عصر:"**البابا جريجوري السابع. . . ذلك أنه وقف من الإمبراطورية موقفا عنيدا لإجبارها على الإعتراف بسمو البابوية. . . من خلال القوانين التي سنَّها. . . ومن أهم ما ورد فيها:البابا وحده يتمتع بسلطة عالمية. . . وللبابا الحق في عزل الأباطرة، ولا يُسأل البابا عما يفعل ولا يُحاكم على تصرفاته**". (عجيبة، أ، ع، 1991، ص31). فالبابا هو نائب المسيح في الأرض أو هو ظل وخليفة الرب في العالم يحق له مالا يحق للبشر إذ أنه مقدس. وكانت الكنيسة كانت تدعي التجلي الأرضي للرب فهي:"**كانت مسئولة على منح نعمة الله. . . وبدون شفاعة الكنيسة والكاهن، لم يكن الفرد يملك إتصالا مباشرا مع الرب. . . فالكاهن وحده يجعل الرب في إتصال مباشر مع شعب الكنيسة**". (بروتون، ج، 2014، ص63). وهذا ما منح الكنيسة

سلطة قوية إستغلت إيمان المؤمنين المسيحيين، إذ تدعوهم للعفة وترتكب الرذائل، وتدعوهم للفقر وتكنز الذهب والفضة، وتدعوهم للآخرة وتتشبث بالدنيا. وبإنحراف الكنيسة والباباوات وطغيانها الذي خرج للعلن، واجهها أصحاب حركة الإصلاح الديني بالتصدي إذ أن:"**إنحرافات الكنيسة خلال القرن 15و16م في بيع صكوك الغفران من طرف الكنيسة الكاثوليكية مقابل النجاة من النار وضمان المغفرة والدخول إلى الجنة. . . وبالتالي عليهم الخضوع المطلق للكنيسة**". (حسنين، إ، 2016، ص333). وكانت صكوك الغفران تعود للكنيسة بالأموال الطائلة، وقامت بإستغباء الرعية وخاصة المستضعفين الذين كانوا يحلمون بالتخلص من شرور العالم وحلول الخلاص ودخول الجنة. وقامت الكنيسة بمهاجمة وتكفير كل من يكشف عيوبها إذ نجد على سبيل المثال:" **المصلح الديني جان هاس(1370-1415م) قام بإنتقاد الكنيسة إنتقادا شرسًا دعا إلى عدم تقديس البابوية لأن أفكارها وسلوكها بعيدين عن الديانة المسيحية. . . وقد أدى به إنتقاده إلى إعدامه من طرف الكنيسة سنة1415م بتهمة الهرطقة**". (حسنين، إ، 2016، ص337). وبالتالي فقد ساهم الإصلاح الديني في التخلص من التزمت والدوغمائية الكنسية.

ونخص بالذكر حركة "الإصلاح الديني اللوثري" وهي:"**حركة دينية مسيحية ظهرت في أوروبا في ق15م، وبدأت كمحاولة لإحداث التغيير في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، لكن كان من نتائجها مولد البروتستانتية. . . إن مارتن لوثر الراهب الألماني وأستاذ علم اللاهوت تزعم حركة الإصلاح ابتداء من عام1517م. ولقد أدّت إنتقادات مارتن لوثر إلى إنفصالهم النِّهائي عن الكنيسة الكاثوليكية**". (الغوج، م، 2016، ص23). وقد قام "لوثر" بثورة مضادة للبابا والكنيسة الكاثوليكية البروتستانتية **PROTESTANTISME**:"**هي حركة دينية مضادة لكنيسة روما حجتها أن عقائد الإيمان الصحيحة تقول أن الإنسان لا ينجو من الحساب إلا بعفو إلهي داخلي وليس عن طريق سلطة روحية خارجية تسمى بالكنيسة أو رجال الدين**". (ملاح، أ، 2006، ص80). وهذا ساهم في زعزعة الكنيسة وخاصة أن "مارتن لوثر"كان راهبا، نلاحظ هنا أن الثورة لم تبدأ من خارج الكنيسة بل كانت من داخلها، وهذا يبرز ضعف الكنيسة. وقد قامت الكنيسة بمواجهة الأمر بطرق منافية لتعاليم الدين المسيحي، إذ أنشأت "محاكم التفتيش" وهي لم تكن ظاهرة جديدة، بل تضرب بجذورها للحضارات القديمة إذ كانت تتم معاقبة المارقين على الدين والمرتدين عن عبادة الآلهة حرقا أو غرقا وغيرها من ألوان

العذاب، فمثلا الفيلسوف اليوناني "سقراط" **SOCRATE**(470-399ق. م). الذي تم إعطاءه السُّم بموجب سخريته على آلهة أثينا، ناهيك عن قصص الأنبياء التي تروي قصص تعذيبهم وقتلهم لنفس السبب المزعوم (الهرطقة). إلا أن الكنيسة قد كانت ترتكب المجازر في حق المستضعفين وهي تحمل شعار "محبة، عدالة، تسامح". ومحاكم التفتيش هي:"**التخصص القضائي الخاص الذي يمارس بواسطة مندوبي البابا**". (إدريس، ن، 2008، ص40). إذ كانت تراقب عن كثب التجمعات والأماكن والمكتبات التي يشتبه فيها أن تقام فيها لقاءات للبروتستانتية، وكانت تهدف بذلك إلى إرجاع السيادة إلى الكنيسة الكاثوليكية، لأن أتباع البروتستانتية كانوا في تزايد مستمر أرعب سلطة الكنيسة والدولة معا، اللّتان كانتا شريكتان في الجرائم التي إرتكباها في حق الرعية تحت مسمى الدين. إذ:"**داوم الباباوات على إرسال المحققين أو المفتشين لملاحقة الهراطقة وإختار الباباوات لهذا العمل رهبان لما عرف عليهم من بالتقشف وقد أطلق إسم كلاب الله أو الصيادين من قبيل السخرية على هؤلاء المفتشين. . . مثل الراهب روبرت الذي أمر بإحراق حوالي1800شخصا في يوم واحد. . . وكان على هؤلاء ملاحقة المسيحيين المهرطقين دون سواهم، فلا يحق لهم ملاحقة المسلمين أو اليهود**". (عمران، م، س، 1998، ص324، 325). وقد كشفت محاكم التفتيش عن الصراع الذي بين الكنسية والمعارضين من مصلحين وثوار فكر وعلماء(هراطقة حسب الكنيسة). إضافة لكشف وحشية الكنيسة وحيادها عن تعاليم المسيحية، وهذا ساهم في إضرام روح التصدي في قلوب معارضي الكنيسة. من أجل إرجاعها لما كانت عليه في البداية ونزع السلطة والسيادة من يدها. فهي لم تجلب إلا الضرر البالغ سواء من الجانب الروحي أو الجانب الإجتماعي والسياسي والإقتصادي. وكانت وصمة عار إذ حاربت العلم والعلماء. لقد كانت الكنيسة تعتمد على نظرية "بطليموس" في ثبات الأرض ومركزيتها، حيث أنها: "**تعتنق النظرية التي تجعل الأرض مركز الكون وأن الأجرام السماوية كافة تدور حولها، فلما ظهر"كوبرنيق" بنظريته القائلة بعكس ذلك، عادته الكنيسة وشرعت في محاكمته، لكنه مات قبل أن يحاكم. . . فحرمت الكنيسة كتابه"حركة الأجرام السماوية"وقالت:إن ما فيه هو وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل**". (الديب، ح، ب، 2011، ص13). إذ أن "كوبرنيك"**COPERNIC**:"**1473-1543 الفلكي البولندي، لم يكن مقتنعا بآراء بطليموس. . . أثبت أن الأرض جرم سماوي، وليست سطحا ثابتا. . . وأنها تدور حول الشمس وحول**

ذاتها". (إدريس، ن، 2008، ص178). وهذا كان معارض لفكرة الكنيسة التي كانت تؤمن بأن الأرض لا تتحرك وكانت نظرية "كوبرنيك"بمثابة ضربة قوية للتعاليم المسيحية التي كانت تظهر في هيئة تستمد تعاليمها من الرب لا تخطئ. إضافة إلى "غاليلو غاليلي" **GALILO È GALIL** (1564–1962) إذ أنه:"**وضع لأول تلسكوب فلكي، ووجهه نحو القمر، فإكتشف أن هذا الجرم ليس كرة تامة الإستدارة، وأن به جبال ووديان**". (إدريس، ن، 2008، ص183). وقد أصدرت المحكمة الكنسية بأن ما يقوله هؤلاء الهراطقة وحي من الشيطان لذلك ينبغي قتلهم أو نفيهم. وما كان على "غاليلو"إلا أن خضع للكنيسة ونفى ما رآه ولعن أفكاره الإلحادية التي جعلت من الأرض متحركة. كما تصدَّت الكنيسة "إسحق نيوتن" **ISHAK NEWTON**(1642–1727) إن:"**الإنجازات التي قدّمها نيوتن هائلة وعظيمة، حساب التفاضل والتكامل وسيلة رياضية طورها. . . إنه كان مؤمنا بالكتاب والوحي، إلا أن أبحاثه إصطدمت مع الدين، خاصة قانون الجاذبية. . . بإمكانه تفسير حركة الكواكب حول الشمس**". (إدريس، ن، 2008، ص185، 186). وإتهمته بالكفر رغم أنه كان مؤمنا مسيحيا حينما قال أن:" **الكون كله بجماله واتساعه يشهد بحضور الإله، ومهارته الفائقة دون الحاجة إلى أنبياء ومعجزات وطقوس**". (إدريس، ن، 2008، ص131). وهذا ما كفرته فيه الكنيسة حيث يرى بأنه لا يجب الرجوع للنص الديني لمعرفة قدرة الرب ووجوده. بل النظام الكوني دليل على وجود الرب. وقد كان سبب رفض ومعارضة الكنيسة لهذه النظريات التي تقول بمركزية الأرض وحركتها بسبب أن:"**القول بدورانها يبطل العديد من معتقدات الكنيسة التي بنيت على القول بثباتها، حيث قالت الكنيسة أن الأرض يجب أن تكون مركز الكون الثابت، لأن عيسى عليه السلام تجسد فيها، وعليها تمت عملية الخلاص والفداء، وفوقها يتناول العشاء الرباني**". (الغامدي، أ، ع، س، ص365–366). وهذا كان يبطل آراءها وتعاليمها.

لكن مع نهاية العصور الوسطى بدأت العقلية الغربية تتغير وتخرج من قوقعة الكنيسة فشاعت النظريات العلمية وسادت حتى للنصوص الدينية وإخضاعها للعقل والنقد. فقد جاء العلماء بنظريات زعزعت ركائز الثيوقراطية للكنيسة والدولة معا رافضة الخضوع لفكرة تقديس الحاكم والكنيسة، بل لا سلطة إلا للعقل. حيث أنه:"**طالما لم يأت العلم بإجابة أكيدة تستبقي الله سلطانه التحكمي، وتلبث طرق الرب عصية على الإدراك، كما يلبث دور الأكليروس جورا لا**

غنى عنه. وفي كل مرة يكتشف عالم قانونا طبيعيا، فهو يجلب معه حدا لهذا السلطان الإلهي". (مينوا، ج، 2005، ص288). إذ أن العلم صار يسبر أغواره في الطبيعة وصارت الإكتشافات العلمية تكشف ضعف الكنيسة وزيفها وصار العلم مهددا لسلطة الكنيسة بالزوال. وصار الإيمان:"**يقتصر على المضمار الروحي والإلهي. فالإيمان لا يشرح الظواهر الطبيعية ولا يتوجب على اللاهوت وقد أفضت أزمات القرن إلى تدني قمته بوجه خاص أن يتدخل في العلوم**". (مينوا، ج، 2005، ص333).

وقد ظهرت بوادر عصر النهضة حاملة معها بصيص الأمل للخروج من ظلمات العصور الوسطى وهو:"**مصطلح يطلق على فترة الإنتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وهي القرن 14، 16م ويؤرخ لها بسقوط القسطنطينية عام1453م. . . كما يدل عصر النهضة على التيارات الثقافية والفكرية التي بدأت في البلاد الإيطالية في ق14م ون إيطاليا إنتشرت النهضة إلى فرنسا وإسبانيا وألمانيا وهولندا وإنكلترا وإلى سائر أوروبا**". (حسنين، إ، 2016، ص148). إذ أكدوا بأن الكنيسة ليست ذات سلطة مطلقة حرة ومقدسة ولا تتمتع بكامل الحقوق بل عليها أن تخضع للسلطان السياسي فهو الذي يحدد الجدود التي تمارس فيها الكنيسة سلطانها. وهو الجانب العقائدي لا أكثر. إذ عليها أن تنصرف عن الأمور الدنيوية .

وأدى التنافس بين الأدعياء للعرش البابوي إلى تدخل السلطات العلمانية لإيقاف إستبداد الكنيسة. وبدأت :"**القوى العظمى في الظهور في السنين الأخيرة للعصور الوسطى. . . ومكنت الملوك من بسط سطوتهم للحفاظ على سلامة وأمن المواطنين، في مطلع ق18م أدت تلك السلسلة من الحروب وعملية بناء الدول العظمى التي أصبحت تهيمن على أوروبا طيلة200عام**". (حسنين، إ، 2016، ص22). وهنا تم الفصل بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة وتشريع القوانين وظهور الجمهوريات والديمقراطيات.

وبالتالي لقد كانت حركة التنوير نتيجة سقوط الستار الروحي الوهمي للكنيسة ورجال الدين، وجرائمها التي إشتدت من خلال الصراعات الدينية الدموية خاصة في القرنم15و16م و17م. إلا أن الخلاص من شر الكنيسة قد حلّ مع عصر التنوير وفلاسفته وعلماءه، متجاهلين تهديدات الكنيسة. ففيلسوف التنوير هو:" **الذي يسحق الأحكام المبتسرة، والتراث، والموافقة الجماعية والسلطة، وما يستعبد العقول. . . ولا يسمح بشيء ماعدا شهادة عقله وتجاربه**". (إدريس، ن، 2008، ص125). وظهرت كذلك الحركات الأدبية بشكل واسع إذ:" **بعثها**

رجال الأدب في أواخر القرون الوسطى:بتراركة(1304-1374)، ودانته ألياري(1265-1321)، حيث كانوا طلائع حياة فكرية جديدة، ومثلوا ثورة جارفة حررت الحياة من كل ظلم وعقم وجمود". (شهرزاد، د، 2013، ص27). والنهضة الأدبية ساهمت في القضاء على الجهل وإنتشار الوعي الجماعي والفردي مما جعل النفس الإنسانية ترتقي بعيدا عن عالم الجهل والسلطة الدينية الدوغمائية.

وبالرغم من أن سلطة الكنيسة قد ضعفت إلا أنها لم تختفي، بل تمَّ حصرها في مجالها الروحي وإبعادها عن السياسة وصارت الأسئلة اللاهوتية تأخذ طابع جديد قائم على التحليل العقلاني النقدي. وقد قام الفلاسفة بحملة على:"**الفلسفة المدرسية بالتهكم على لغتها وبحوثها وطريقة إستدلالها، بل الحملة على العصر الوسيط بجميع مظاهره ورميه بالجهل والغباوة. . . فما كانت البروتستانتية في البدء إلا إحتجاجا على الغفرانات ودعوى إصلاح في الإدارة الكنسية والعبادة ثم زعمت أن الدين يقوم على الفحص الحر**". (كرم، ي، 2012، ص10، 11). أي أن النص الديني المقدس الذي حرَّمت الكنيسة تواجده عند العامة من الشعب وإقتصار قراءته على القساوسة والقديسين والباباوات قد صار متاحا للجميع خاضعا لسلطان العقل، إذ ترسخت فكرة أن قراءة وفهم الكتاب المقدس لا تستلزم شرحا وتفسيرا من الكنيسة، بل الفهم الحر والخاص للنص الديني. وإستمدت الكنيسة الدلائل للدفاع عن أفعالها من المذهب الأفلاطوني والأرسطي وهذا ما برز في"الفلسفة المدرسية وهي**SCOLASTIQUE PHIOSOPHIE اللفظ الإفرنجي مشتق من دعاة هذه الفلسفة الذين كانوا يُعرفون بالدكاترة المعلمون. . . وأطلق على الذين يدرسون علم اللاهوت.** (وهبة، م، 2007، ص587، 588).

ونجم عن هذا أن تكون السلطة للسلطان المدني وإبطال الحكم الكنسي كونه سلطان مضاد لخير الهيئات الإجتماعية، والحكام والملوك أعلى سلطة من الكنيسة، وإنه يجب الفصل بين السياسة والكنيسة والتأسيس للعلمانية. التي تحترم التفكير البشر الحر غير الخاضع لسلطة الأكليروس. إذ قال"فولتير":"**إن التوحيد بين الدين والدولة لهو أبشع نظام، لذلك يجب إلغاؤه وإقامة نظام آخر يخضع فيه رجال الدين لنظم الدولة، ويخضع فيها الراهب للقاضي**". (الديب، ح، ب، 2011، ص15).

نستخلص في الأخير أن دفاعات آباء الكنيسة ومن بينهم "القديس أوغسطين" قد ساهمت بشكل أو بآخر في بروز"الثيوقراطية" والتي تعود إلى الحضارات الشرقية القديمة التي جعلت

السلطة في يد الحاكم الذي تم جعله إلها أو تم تقديسه ويتم الولاء التام له، وقد تطورت الثيوقراطية وإستمرت إلى أن دخلت الفكر المسيحي فبعدما كانت تعاليم المسيح عليه السلام تدعوا إلى إخلاص العبادة للرب الواحد. ولجت الوثنية من الباب الواسع للمسيحية وما نتج عنها من تجسيد المسيح وأمه مريم عليهما السلام، وقد لجأت الكنيسة إلى الزعم بأنها مفوضة من الرب يسوع المسيح، فهي تمثل تعاليمه وتسعى لنشرها، وبذلك فطاعتها واجبة وعصيانها عصيان للرب يستوجب حلول اللعنة الأبدية والخلود في الجحيم. وبالتضييق على سلطة الكنيسة وزيادة أطماع الباباوات ورجال الدين خاصة بعدما صدر إعفاء الكنيسة من الضرائب. والظروف العويصة التي مرت بها السلطة الزمنية جعلت من الكنيسة تتقرب من سلطة الحاكم الزمني بغية إغداقها بالمال والأراضي وحماية أملاكها، وكان المقابل أنها أشاعت بأن الحاكم المسيحي مفوض إلهيا، فصار يُقدس لأن الرب اختاره وأودع فيه السلطة وبالتالي ينبغي الخضوع له.

وبارتباط الكنيسة بالسلطة الزمنية زادت أملاكها حتى قاربت أو فاقت أملاك الحاكم، فغرقت الكنيسة والباباوات في المتع الدنيوية وابتعدت بشكل جلِّي عن الجانب الروحي وحياة العفة والرهبنة، واستخدموا الكتاب المقدس للتبرير عن تصرفاتهم التي تتنافى وتعاليم المسيحية، فزرعت بذلك بذور الجهل والظلام في عقول الرعية وأغرقت الدول في العصور الوسطى عصور الظلام، ولما سعى المصلحين والمفكرين أن يتصدوا لها قامت بتكفيرهم والتنكيل بهم بأشد أنواع التعذيب، وهذا برز في كل سلبي وعار في تاريخ الكنيسة من حرق ومجازر ومحاكم التفتيش . وبالرغم من اضطهادها المستمر الذي كان يزداد بشاعة إلا أنه برزت حركات وبوادر النهضة والتنوير مع علماء وأدباء وفلاسفة. ساهموا في نزع بذور الجهل واللاهوت من العقول ورفعوا شعارات عن الإنسانية والحرية والتسامح وتمت القطيعة بين الكنيسة والسلطة الزمنية وصارت الكنيسة خاضعة للدولة فالقيادة والسيادة للدولة وحدها دون الكنيسة.

خاتمة:

أختم هذه الدراسة الموسومة ب"الدولة في الفكر المسيحي-أوغسطين أنموذجا"، وبعد محاولة الإحاطة بمجريات موضوع الأطروحة التي تتفرع أحداثها حتى تكاد لا تنحصر عند مرحلة معينة. فالتاريخ حلقة متسلسلة متكاملة يصعب الفصل بين حلقاتها وهذا ما أدركت صدقه في دراستي المتواضعة هذه. وخاصة أن فكرة الدولة تضرب بجذورها للعصور القديمة بالرغم من اختلاف المفاهيم بين العصور القديمة والحديثة والمعاصرة للدولة. إلا أن التنظيم السياسي كان بارزا وقد أخذ أحيانا الطابع الديني وأحيانا أخرى طابع مدني. إلا أن الغالب هو الفكر الثيوقراطي للحكم. ولا زالت إشكالية الدولة تأخذ حصتها في زماننا الحالي حول الدولة التي توفر السعادة والنظام المثالي لشعبها، ولا نقصد به الجانب المثالي اليوتوبي المفارق لعالم الحسي المادي، بل من الجانب الاستقرار والسلام لأن الدول حاليا صارت قيم الاستقرار تكاد تنعدم. وإن وجدت فتكون على حساب دمار دول أخرى. وعلى كل لا ننسى أهمية التاريخ المسيحي وما يحمله في طياته أحداث مزجت بين اللاهوت والسياسة، ناهيك عن "أوغسطينوس" أسقف هيبونة، الذي يعتبر قمة في التاريخ المسيحي اللاهوتي، والذي كان آية زمانه إذ مثَّل نقلة نوعية فمن فتى غارق في الشهوات والرذائل الدنسة وحياة الفجور إلى قديس وهب نفسه وقلمه للرب، "ابن الدموع" الذي فرَّ إلى العالم الروحي مبدعا "مدينة الإله"، وبالتالي فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتي تبرز في:

أن المجتمعات القديمة التي شكلت حضارات وحتى الحضارة اليونانية والرومانية لم تكن تعرف مفهوم الدولة، بل كانت تقيم "مدن" أو ما تسمى ب"دولة المدينة" كمدينة بابل، مدينة إسبرطة، مدينة أثينا وغيرها. فقد كانت كل "دولة مدينة" ذات قانون وحاكم وجيش خاص بها، لها حدودها الخاصة ولها آلهتها التي تحميها من غارات المدن الأخرى. فقد كانت "دولة المدينة" القديمة تشكل "مدينة" بمفهومها الحالي. وروما كذلك ظهرت كمدينة أسسها "رومولوس" وصار ملكا لها. وبعدها شكلت روما جيش قوي لا يقهر بسهولة ولا يخاف الموت ويحب التوسع الحروب. وبجيشها تمكنت من ضم الكثير من المدن تحت حكمها وسيطرتها، إلى أن شكلت روما "إمبراطورية" تخضع لسلطة إمبراطور واحد. وقد وكَّل حاكما على كل مدينة. وقد مر الحكم فيها من "ملكي" إلى "جمهوري" إلى "إمبراطوري". وكانت السلطة كذلك في يد "مجلس الشيوخ". إلى أن تفككت الإمبراطورية مع هجومات البرابرة واختفائها تماما مع الفتح الإسلامي للقسطنطينية.

شاعت عبادة الأوثان وتعدد الآلهة منذ القدم واستمرت مع الإمبراطورية الرومانية، ونشأت الديانة المسيحية في الأراضي الرومانية، وقد تعرضت للأذى والتنكيل بمرتاديها من طرف الوثنيين والأباطرة حيث رفض المسحيين عبادة وتقديم القرابين للآلهة الوثنية. ومع هجوم القوط على روما شاع بين الوثنيين أن الدين الجديد جلب لعنة الآلهة. وتم التضييق على الكنيسة، إلى أن جاء قسطنطين وقام بحماية المسيحيين وإعطائهم حرياتهم الدينية.

دافع القديس أوغسطين عن المسيحية ضد الوثنيين الذين تحاملوا على القضاء عليها وخاصة بتحريضهم للأباطرة للتخلص من هذا الدين المشئوم. واستفاد أوغسطين بما أتقنه من علم البيان، فكانت "مدينة الإله" موضوعا أبرز أفكاره الفلسفية الجدلية واستيعابه للفلسفة اليونانية والفكر السياسي الروماني وخاصة "شيشرون". ورجوعه الواضح للعهد القديم "التوراة". وبروز اليوتوبيا في "مدينة الإله" التي يرجح إلى أنها تعود ليوتوبيا أفلاطون، وإلى التقسيم المانوي للخير والشر.

أسس "أوغسطين" العالم على مبدأ "المحبة"، التي خلق بها الرب العالم وبالمحبة فدا الرب البشرية ليخلصها من الخطيئة وبها تتحقق العناية الإلهية وبها وجدت الكنيسة التي تقود البشر المؤمنين بالمسيح إلى السعادة الأبدية. فالحب هو مصدر تواجد المدينتين. وهو صنفان: حب الذات لدرجة نسيان الرب وجعله أساس ظهور "مدينة الشيطان"، وحب الرب لدرجة نسيان الذات وهو أساس "مدينة الرب". وهاتان المدينتان تعيشان في صراع وحرب إلى نهاية التاريخ إذ يكن الخلاص والنصر من نصيب مدينة الرب.

فكر أوغسطين طغى عليه الجانب اللاهوتي حتى في فكره السياسي، وبقراءته تشعر وكأنك تقرأ لقصص الأنبياء تاريخ البشرية، بل وجعل السياسة مرتبطة بالدين والأخلاق. إذ جعل من الكنيسة السلطة المدبرة لشؤون الحياة الروحية وقائدة البشرية إلى الخلاص والأرض الموعودة "أورشليم".

يجعل الغاية من تأسيس مدينة الرب هي نفس الغاية التي اهتم بها الفلاسفة اليونانيين ومفكري ومصلحي الحضارات الشرقية. وهي "السعادة" ولكن ليست السعادة العرضية التي تزول بزوال سبب السعادة، إنما "السعادة الحقيقية "والتي جعلها أوسطين تبدأ بالإيمان كمصدر للمعرفة الحقَّة وهي إدراك حقيقة الرب. فالإيمان يقود العقل ويقود بالتالي الإنسان إلى مدينة الرب الخالدة في السعادة الأبدية.

عالج أسباب ازدهار وانهيار الدول، والذي ربطه بالجانب الأخلاقي والقيم، فقد رأى بأن الدولة

مهمة في تنظيم الحياة البشرية وهي حاجة طبيعية، إلا أن الدولة كانت نتيجة الخطيئة البشرية الأولى التي اقترفها آدم عليه السلام فكانت بذلك عقابا إلهيا للبشر على عصيان الرب. وأن ما يعيشه البشر من كلا المدينتين من حالة الحروب خاضعة للعناية الإلهية التي أرادت ما هو كائن بغية التمحيص بين أهالي مدينة الرب وأهالي مدينة الشيطان. فمدينة الرب ينالون نتيجة صبرهم على الابتلاءات الخلود مع القديسين في الجنة، في حين تقود الحروب مدينة الشر إلى الخلود في العذاب مع الشياطين. ومنه فالكنيسة هي السلطة التي تقود البشرية للخلاص.

إن الدولة تقوم على أساس "العدالة" فهي أسى الفضائل، وما كان سبب زوال الدولة البابلية والرومانية وتصدعها إلا بسبب ابتعادها عن العدالة وطغيانها على الشعوب وحبها للتسلط والشرور، واعتبر المسيحية قمة العدالة، وإذا لم تكن الدولة مسيحية فإنه يستحيل تحقيق العدالة التي تقتضي التخلص من الشرور والأطماع. ومدينة الشيطان لا تحقق العدالة لخضوعها للشياطين، وبذلك كلما سارعت إلى جمع المال والتوسع، كلما سارعت بتعجيل انهيارها وزوالها. وبالتالي جعل الكنيسة هي السلطة الوحيدة التي تقود للخلاص والسعادة الأبدية. وهذا ما أدى إلى طغيان الكنيسة فيما بعد وإمساكها لزمام القيادة وفي كل الجوانب الدنيوية.

ظهرت المسيحية كدين يدعو للمحبة والتسامح. وكانت الكنيسة تدعوا لعبادة الرب والاهتمام بالجانب الروحي فقط، ونبذت أمور الدنيوية والسياسية. وخضعت لسلطة الإمبراطور تحت شعار"ما لقيصر لقيصر، ومالله لله". ولكن مع دفاعات آباء الكنيسة على المسيحية واعتلاء "قسطنطين" لعرش الإمبراطورية وجعله المسيحية دين الإمبراطورية. تزايد سلطان الكنيسة وإعفاءها من الضرائب وتقديم الهبات لها بغية نيل رضاها لنيل رضا الرب. بدأت تنسلخ رويدا رويدا من الجانب الروحي وبدأت تنغمس في الجانب السياسي الدنيوي، وصارت سلطتها مساوية لسلطة الأباطرة. ومع ضعف الأباطرة بسبب هجمات البرابرة على أراضيهم تسبب في خسائر للأباطرة وربح وفير للكنيسة. وصارت سلطة الكنيسة في مرتب عليا من سلطة الإمبراطور.

الثيوقراطية المسيحية التي جعلت من الكنيسة تستمد تعاليمها من الرب وأي عصيان لها هو عصيان للرب. كانت هي العار الذي وصت نفسها به، إذ أحكمت سطوتها على الحكام، وجعلت من الأباطرة والملوك حكاما ذات تفويض إلهي، وتم إغداق الكنيسة بالمال والذهب والفضة مقابل بيع كرسي البابا لفترة محددة وانسلخت الكنيسة بشكل صارخ عن التعاليم المسيحية، وأشاعت بيع صكوك الغفران التي عادت عيها بالمال الوفير.

ظهور حركات الإصلاح الديني التي وهبت نفسها للتصدي للكنيسة وظلمها، أبرزها الصلاح الديني اللوثري والذي أسس للبروتستانتية ودعا للثورة على الكنيسة الكاثوليكية وهاجم صكوك الغفران التي لا وجود لها في العقيدة المسيحية، وثورته على توسط الكنيسة بين العبد والرب لنيل الجنة، والاعتراف الذي يتم أمام البابا أو القس. وقد قادت هذه الثورة الدينية إلى ثورات أخرى خاصة في المجال العلمي والتي لم يسلم أصحابها من التكفير واللعنة الكنسية، إذ أفضى هذا الوضع إلى تأسيس محاكم التفتيش التي مارست أشد أنواع العذاب ضد العلماء الذين كانوا هراطقة ورسل الشياطين ما استوجب حرقهم وإبادتهم.

الضعف الكنسي أمام النظريات العلمية والتي كانت مستمرة، إذ أدت إلى المطالبة بفصل الكنيسة عن الدولة، وحصر الكنيسة في الجانب الروحي الذي بدأت منه. وبذلك تخلصت أوربا من عصور الظلمات. والدعوة إلى زوال سلطان الكنيسة نتج عنه حركات إلحادية رهيبة، فالنقد الديني جعل من التعاليم والنص المقدس محل اشتباه، ناهيك عن نظرية "أصل الأنواع" أو "نظرية التطور" التي عرضها "داروين" والتي ضربت المسيحية والدين عرض الحائط، إذ حطّت من القيمة التي كانت تميز الإنسان عن الحيوان وترفع من مستواه. وخاصة حينما تقول المسيحية بأن الرب خلق الإنسان على هيئته فهذا كان مصابا جللا للكنيسة.

1) قائمة المصادر:

1/ أوغسطين، أوراليوس. (2004). خواطر فيلسوف في الحياة الروحية. (ط7). دار المشرق. بيروت.

2/ أوغسطين، أوراليوس. (2006). مدينة الله. (ط2). دار المشرق. بيروت.

3/ أوغسطين، أوراليوس. (2007). مدينة الله. (ط2). دار المشرق. بيروت.

4/ أوغسطين، أوراليوس. (2007). مدينة الله. (ط2). دار المشرق. بيروت.

5/ أوغسطين، أوراليوس.(2007). تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي. في الحياة السعيدة. في الكذب. (ط1). دار المشرق. بيروت.

6/ أوغسطين، أوراليوس. (2012). اعترافات. (د.ط). المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة. قرطاج.

2) قائمة المراجع :

1/ ابن خلدون، عبد الرحمان.(د.ت).المقدمة.(ط4).دار إحياء التراث العربي. لبنان.

2/ الأحمد، سامي سعيد.(د.ت).تاريخ الرومان.(د.ط).مكتبة المهتدين الإسلامية. بغداد.

3/ إمام، عبد الفتاح إمام.(2002).الأخلاق والسياسة دراسة في فلسفة الحكم.(د.ط). مجلس الأعلى للثقافة. مصر.

4/ باتريك، لورو. (2008).الإمبراطورية الرومانية.(ط1).دار الكتاب الجديد المتحدة. لبنان.

5/ باور، أحمد حاجي.(2016).الفلسفة السياسية من كونفوشيوس إلى هيجل.(ط1).دار أسامة للنشر والتوزيع.الأردن.

6/ بدوي، عبد الرحمان.(1969).فلسفة العصور الوسطى.(ط2).مكتبة النهضة المصرية. مصر.

7/ بروتون، جيري.(2014).عصر النهضة.(ط1).مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. مصر.

8/ بوعرفة، عبد القادر.(2006).المدينة والسياسة دراسة في الضروري في السياسة لابن رشد.(ط1).مركز الكتاب للنشر. مصر.

9/ تشادويك، هنري.(2016).أوغسطينوس.(ط1).مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافة. مصر.

10/ توشار، ج.(د.ت).تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط.(د.ط).دار التكوين. سوريا.

11/ توفيق، حورية.(2019).الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده.(ط7).مكتبة485. مصر.

12/ جاريث، ماثيوز.(2013).أوغسطين.(ط1).المركز القومي للترجمة. مصر.

13/ حنفي، حسن حنين.(1978).نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط أوغسطين–أنسيلم–توما الأكويني. (ط2).مصر.

14/ الخضيري، زينب محمود.(1997).لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين. (د.ط).دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. مصر.

15/ الديب، حاتم بن حسن.(2011).ماذا تعرف عن هذه المصطلحات الدولة الإسلامية–الدولة العلمانية–الديمقراطية–العلمانية–الليبرالية–الثيوقراطية.(ط1).مؤسسة الصحابة للطبع والنشر والتوزيع. مصر.

16/ رأفت، عبد الحميد.(1974).الدولة الكنيسة.(د.ط).مكتبة المهتدين الإسلامية. مصر.
17/ رأفت، عبد الحميد.(2002).الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى.(د.ط).دار قباء للنشر والتوزيع. مصر.
18/ رسل، برتراند.(2010).تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة القديمة.(د.ط).الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
19/ رسل، برتراند.(2010).تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة الكاثوليكية.(د.ط).الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
20/ رسل، برتراند. (2010).تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة الحديثة.(د.ط).الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
21/ زايد، محمد عبد الله.(2016).جوانب من حضارة أروبا العصور الوسطى.(ط1).الدار الثقافية للنشر. مصر.
22/ زريق، برهان.(2016).السلطة الدينية.(ط1).وزارة الإعلام السورية. سوريا
23/ زيعور، علي.(1983). أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية. (ط1).دار إقرأ. لبنان.
24/ سباين، جورج.(د.ت).(د.ط).تطور الفكر السياسي الكتاب الأول.(د.ط).الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
25/ سباين، جورج.(د.ت).(د.ط).تطور الفكر السياسي الكتاب الثاني.(د.ط).الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
26/ صالح، هاشم.(2005).مدخل إلى التنوير الأوروبي.(ط1).دار الطليعة للطباعة والنشر. لبنان.
27/ عجيبة، أحمد علي.(1991).البابوية سيطرتها على الفكر الأوروبي.(ط1).مكتبة المهتدين. مصر.
28/ العروي، عبد الله.(2011).مفهوم الدولة.(ط9).علي مولا المركز الثقافي العربي. المغرب.
29/ عمران، محمد سعيد.(1998).حضارة أروبا في العصور الوسطى.(د.ط).دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
30/ عويضة، كامل محمد.(1993).الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى.(ط1).دار الكتب العلمية. لبنان.
31/ عويضة، كامل محمد.(1993).أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى.(ط1).دار الكتب العلمية. لبنان.
الغوج، محمد مصطفى.(2016).التاريخ الأروبي الوسيط.(ط1).إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع. مصر.
32/ الفارابي، أبو نصر.(د.ت).آراء أهل المدينة الفاضلة.(د.ط).مطبعة محمد علي صبيح وأولاده. مصر.
33/ كرم، يوسف.(2012).تاريخ الفلسفة الحديثة.(د.ط).مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. مصر.
34/ كرم، يوسف.(2012).تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط.(د.ط).مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. مصر.

35/ لورنس، فان موسيهم يوحنا.(1875).تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة.(د.ط). المطبعة الأمريكانية. بيروت.

36/ مرحبا، عبد الرحمان.(1983).من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية.(ط3).ديوان المطبوعات الجامعية منشورات عويدات. باريس.

37/ ملاح، أحمد.(2006).المختصر في تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار مع تحديد الفترات التاريخية وضبط للنظريات الفلسفية.(ط1).رياض العلوم للنشر والتوزيع. الجزائر.

38/ مهنا، محمد نصر.(1999).في تاريخ الأفكار السياسية وتنظير السلطة.(د.ط).الكتب الجامعي الحديث. مصر.

39/ مونتسكيو.(2011).تأملات في تاريخ الرومان.(ط1).المركز الثقافي العربي. لبنان.

40/ النايف، حسام جميل.(2016).تاريخ أروبا الحديث من عصر النهضة حتى قيام الثورة الفرنسية 1492-1789.(ط1).دار الإعصار العلمي. الأردن.

41/ الهلالي، محمد. لزرق، عزيز.(2001).الدولة.(ط1).دار توبقال للنشر والتوزيع. المغرب.

3) الموسوعات والمعاجم :

1/ ابن منظور، (2000).لسان العرب.(ط1).دار صادر. بيروت.

2/ بدوي، عبد الرحمان.(1984).موسوعة الفلسفة.(ط1).المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

3/ صليبا، جميل.(1982).المعجم الفلسفي.(د.ط). دار الكتاب اللبناني. لبنان.

4/ طرابيشي، جورج.(2006).معجم الفلاسفة.(ط3).دار الطليعة. بيروت.

5/ علوان، فريال. وآخرون.(2008).القاموس المزدوج عربي-فرنسي/فرنسي-عربي.(ط4).دار الكتب العلمية. بيروت.

6/ فادي، فرحات. وراني، نعيمة.(2007).القاموس الأساسي إنكليزي-إنكليزي-عربي.(ط1).دار الكتب العلمية. بيروت.

7/ كوزمان، بيتر وآخرون.(2007).أطلس الفلسفة.(ط1).دار المكتبة الشرقية. بيروت.

8/ الكيالي، عبد الوهاب.(1999).الموسوعة السياسية.(ط1).المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

9/ لالاند، أندريه.(1996).الموسوعة الفلسفية.(ط1).منشورات عويدات. لبنان.

10/ مدكور، إبراهيم.(1983).المعجم الفلسفي.(د.ط).الهيئة العامة للمطابع الأميرية. مصر.

4) الدراسات الجامعية :

1/ إدريس، نعيمة. أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي. إشراف د. زروخي إسماعيل، 2008.قسم الفلسفة. جامعة منتوري قسنطينة. منشورة.

2/ بوحجرة، سماحي. المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط الغزالي بين التزامات العالم والزامات السلطان. إشراف الأستاذ بوعرفة عبد القادر.2016. قسم الفلسفة. جامعة وهران2. منشورة.

3/ بوفضة، هدى. دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة آرنولد توينبي المسيحية أنموذجا. إشراف الأستاذ الدكتور معيرش موسى.2008. قسم الفلسفة. جامعة الإخوة منتوري قسنطينة. منشورة.

4/ زموري، خديجة. القديس أوغسطين بين السلطة الرومانية المجتمع المحلي. إشراف الأستاذ الدكتور سلاطنية عبد المالك. 2018.جامعة 8ماي1945 قالمة. منشورة.

5/ عفيان، محمد، "نظرية الدولة عند القديس أوغسطين–البعد الروحي للسلطة السياسية. إشراف الأستاذ عبد المجيد دهوم.2016. قسم الفلسفة. جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله. منشورة.

6/ مزواد، نسيبة. أوغسطين بين الدين والفلسفة. إشراف الأستاذ الدكتور معيرش موسى.2020. قسم الفلسفة. جامعة الحاج لخضر باتنة. منشورة.

5) قائمة المجلات :

بن ثابت، علي. كاكي، محمد.(2021).المعتقدات والآلهة المغربية أثناء احتلال الرومان علاقة التأثير والتأثر.(العدد1).مجلة إضاءات علمية. الجزائر.

2/ بوعرفة، عبد القادر.(2002).أعلام الفكر والتصوف بالجزائر.(العدد1).مجلة عصور. الجزائر.

3/ حيدر، محمود.(2018).الدولة فلسفتها وتاريخها من الإغريق إلى ما بعد الحداثة. (العدد14).المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت.

4/ دراس، شهرزاد.(2013).من أطلنطس بيكون إلى خواطر بسكال.(ط1).مخبر البحث: فلسفة، علوم وتنمية بالجزائر. الجزائر.

5/ العلام، عبد الرحيم. (2019).سياقات تشكل المجال السياسي الديني في بدايات الفترة الوسيطية. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. المغرب.

5) المقالات الإلكترونية :

1/زعيتري، أحمد.(2020).الحضارة الرومانية تاريخها: السياسي، الجغرافي، العمراني. جامعة زيان عاشور الجلفة. الجزائر.

2/ حميداني، سليم.(2017).الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى. جامعة 8ماي 1945قسنطينة. الجزائر.

1- مقدمة ....ص: أ

2- الفصل الأول: الدولة بين المفهوم والتداعيات ص:11

- المبحث الأول: مفهوم الدولة ....ص: 13

- المبحث الثاني: جدل السلطة والدولة في الفكر الوسيط (ق2 . 3م) ....ص: 20

3- الفصل الثاني: الدولة عند أوغسطين ص:31

- المبحث الأول: دراسة تحليلية لمدينة الإله عند أوغسطين ....ص: 32

- المبحث الثاني: دراسة نقدية لنظرية الدولة عند القديس أوغسطين.............ص: 52

4- خاتمة ....ص: 69

5- المصادر والمراجع:..ص: 73

6- فهرس الموضوعات: ....ص: 77

الملخص

القديس أوغسطين المبدع في فكره ومؤلفاته،قدرته في الجمع بين السياسة واللاهوت والتاريخ والفلسفة جعلت منه أشهر فلاسفة اللاهوت المسيحيين وآباء الكنيسة.وهذا ما برز في مؤلفه"مدينة الإله" .حيث جعل فيه من المحبة أساس بناء المدينتين السماوية والأرضية،اللتان تسيران معا في التاريخ،لكن تنفصلان في نهايته ويكون النصر حليف المدينة السماوية.

إزدهار الحضارة أو إنهيارها مرتبط بالإيمان،فهو السبيل إلى بناء القيم الأخلاقية التي تؤسس بذلك لإزدهار الحضارة.وبغياب الإيمان تنعدم الأخلاق ومعها الحضارة.وبذلك فإن الدولة التي يستمر تاريخها هي الدولة المسيحية التي تمثلها الكنيسة.وتكون هي سلط الرب في الأرض.

RÈSUMÈ

Saint augustin. Le créateur dans sa pensée et écrits.sa capacité à combiner la poitique.la théologie .l'histoire et la philosophie a fait de lui le théologien et le père de l'église le plus célèbre .c'est ce qui ressort de son auteur la cité de dieu. où il a fait de l'amour la base pour construire les cité célestes et terrestres . les deux entrent dans l'histoire ensemble .mais ils se séparent à la fin .et la victoire est l'alliée de la cité céleste.

L'ascension ou la chute de la civilisation est liée à la foi. C'est le moyen de construire des valeurs morales qui jettent les bases de la prospérité de la civilisation .en l'absence de foi. Il n'y a pas de morale et avec elle de civilisation .ainsi .l'état dont l'histoire continue est l'état chrétien représenté par l'église et ce sera l'autorité du seigneur sur la terre.